الايمان بالانسان

☆

وضحت لنا أهداف التطور ووجهته ، وهو المتواصل — في امتداد أصيل وتفرع حلزوني مشدود وشمول كلي عميق — في المادة التي تبخرت إثر تجزئتها الذرية لتضحي مجموعة طاقات لا اكثر، من هذه المادة التي تظهر وكأنها تنبض بالحياة* .. الى الكائن الحي ومنه كائننا البشري الذي تعقدت فيه هذه الطاقات على ذاتها وتحولت وترفعت الى مصاف الوعي والحرية المتزايدين والمتحققين في العلم وفي الحضارة وفي قيم للحق والمحبة وللجمال؛ المادة انما تعلو وتشف وتشع من خلال الفيزياء النسبية حتى تبلغ صفو الفكر وقبس الروحانية ، أو كأن الحياة والروح تتلبد وتغشى وتظلم وتنحدر تدريجياً فتدرك حركة المادة ، وفي هذا الاختبار الصميمي تتلاقى تأملات برانكاره واينشتين مع حس الصوفي المقترب من الهيكل الحرام ببصيرة الضمير وبانعتاق الروح..

من خلال وحدة الوجود هذه التي توشك ان تصبح عما قريب-حقيقة علمية وضعية تنفتح كالكوة المطلة وتنفرج أمامنا طريق الخلاص كأنها شطحة من شطحات رويزبروك والبسطامي والحلاج أو رماكريشنا : هذا السبيل مصدره منا ، ومعينه فينا ومرده الينا ..

كان فيفكندا يقول : يستحيل على المرء ان يؤمن بما وراء الطبيعة من قوى اذا لم يتوفر له قبل كل شيء شعوره وايمانه بذاته .

وان ما يعوزنا في الواقع ، عوز الضرير للنور والمتألم للصبر والمظلوم للغوث وللحنان ، هو الايمان بأنفسنا وبذاتنا : الايمان بالانسان .

ولكننا في هذا الشرق ربما اعوزنا ايضاً اكثر من غيرنا ، ان ننتصب على أرجلنا وأن نمشي بدون عكاز وان نتقبل شمس الحياة. .وفي هذه السبيل لنؤمن بالعنف وبالقوه المادية الفردية والجماهيرية على السواء حين لا يكون محيد عنها للتصرف بالقوة المعنوية المنبثقة من ايمان الانسان بذاته..

بشيء من هذا الايمان — بنبضة سطحية ، بتحسس جزئي — نهضت اوروبا وتحدت أسرار الطبيعة وألقت عليها شباكاً من منطقية الفكر حبتها بنهضة لم يعرف مثلها التاريخ المعروف.

فاذا ما انتشرت اليوم وتوضحت ، هذه العقيدة الراسخة وهذه الثقة بالانسان على أساس الاختبار العلمي الماضي المتراكم وعلى ضوء علم الانسان ، هذا العلم الجديد الذي لم يظهر ولم يتقدم في الواقع الا منذ زمن قصير ، واذا ما تسرب هذا الايمان الى ذهنية الجماهير التي تنزع بفعل التطور للتجمعات البشرية الخطيرة على ما اشرنا .. ، فأية حضاره ستنبعث واي انسان جديد سينشأ في اثرها !..حضارة وانسان ، لعلهما اكبر من حلم .

كمال جنبلاط

---

* اختبارات شندرا بوز Bose الحائز على جائزة نوبل .

مجالي الوجودية في فلسفة نيتشه

بقلم محمد وهبي

الواقع

ان فلسفة نيتشه ناشئة عن فلسفة شوبنهور التي تجعل من الارادة قوام العالم. ولكن بينما ينتهي شوبنهور الى التشاؤم نرى نيتشه ينتهي الى مذهب قوة وتأكيد للذات . فالارادة عند شوبنهور قوة عمياء لتقرير الذات تبعث في الافراد رغبة في الحياة عمياء ومجافية للعقل . وتظهر هذه الرغبة في الشهوة والاماني التي تقلق الكائنات وتثير بينها عداوة مبيدة، باعتبار المحافظة على النفس والنوع . وهذا خداع الارادة القائد الى الالم . وليس هناك مخرج غير الغائها بالزهد . وفي ذلك ترفع عن الفردية ووصول الى ادراك الواقع غير المتجزىء الذي يؤلف العالم والذي فيه يفنى الانسان .

من هنا يبدأ نيتشه ويطلق على « الارادة » اسم « ارادة القوة» La Volonté de Puissance والوجود عنده ليس خضوعاً سلبياً للحياة ولا استمتاعاً بها ولا تقبلًا لها. وانما هو ارادة الوجود او تأكيد الذات . ومن هنا الاختلاف بين الاثنين . فالارادة عند شوبنهور ماهية القوة، ومادة محركة دافعة . اما عند نيتشه فهي فعل حر، هي ارادة حازمة، هي فعل خالص، وهي شبيهة بالحركة الخالصة . فالحركة تحمل على متحرك ينتقل، كان من قبل ساكناً، فهي رهينة بالمتحرك، واذا كان المتحرك ساكناً في البدء، فالحركة تنشأ من السكون، وهذا ما يجيز مفارقات « زينون » في انكار الحركة . لذلك وجب وضع حركة بدون دافع تنفي كل سكون، هي الحركة الخالصة . كذلك ما يتعلق بالفعل الخالص من حيث تطبيقه على الفعل الارادي . فنحن نبحث وراء كل فعل عن فاعل استعمل ارادته، فيصعب ان نفهم الظهور المفاجىء لـ « كن » (Le Fiat) الذي هو قوام الحركة الفعالة. وهكذا يراد ايجاد حركة من السكون واحداث فعل بالابتداء من ماهية سابقة، الارادة احدى صفاته وتلحقه بطريقة سلبية ولكن نيتشه يتجنب هذا المحال بافتراض ارادة قائمة وفاعلة باستمرار فيوحد بذلك بين الفاعل والفعل الارادي، بمعنى ان الفاعل يوجد وينشىء نفسه عن طريق هذا الفعل .

وهكذا يهدم نيتشه اساس مذهب شوبنهور في التشاؤم وينفي وجود فرد متحرك تحركه الارادة ويخضع تحت دفعها لالوان الآلام السلبية . فالانسان انما يتخيل فقط انه لعبة في ايدي الاقدار وانه سلبي مدفوع في شهواته بقوى تستولي عليه من نفسه فلا يستطيع ان يلائم بينه وبينها، لان آلامه تفصل بينهما .

ومهما يكن ففي فلسفة كل من شوبنهور ونيتشه كائن يضحى به في سبل الشقاء والالم . وهذا الكائن عند احدهما هو الفرد، وعند الآخر هو الرجل العادي الذي يملك قوة تسمح له بتأكيد ذاته باعتباره فرداً . ويلتمس شوبنهور العلاج للحالة الانسانية فيما دون الفردية، ويلتمسه نيتشه فيما فوق الفردية، في الفعل الارادي الذي هو وحده الواقع الحقيقي . وهذا العلاج يظهر في « الانسان الاعلى » .

فوجودية نيتشه اساسها اذاً الاستبعاد المطلق لاي كائن يسبق وجوده الافعال، وفي هذا هدم لنظرية الموضوع . فليس الانسان موضوعاً لافعاله، كما ان فعله لا يزين طبيعته الشخصية، وليس وجوده الا فعله، اذ لا يجمع صفات يغنى بها بل يتحول ويختلف بتحول افعاله واختلافها . فالشيء الوحيد الجدير بالاعتبار هو القوة التي تعلن عن نفسها في كل فعل، او التأكيد الذي تشتمل عليه هذه القوة. ومن ثم لا تقاس الافعال بنتائجها ربحاً كانت او خسارة، فأخفاق نابليون خير بكثير من نجاح اعمال رجل عادي فالاخفاق والنجاح لا تقدرهما مباشرة قيمة العمل، بل ارادة العظمة، على الا تكون هذه العظمة تتويجاً لامر يستتر وراءه ارادة مستريحة في المجد، فذلك احقر مظاهر الغرور .

فلنحذر العجب بأنفسنا . فالحركة العالمية تسلب اللحظة الحاضرة كل واقعية . فالاعجاب ليس من كياننا الحالي، وانما هو ماض ميت متجمد مدفون. والقيمة الحقيقية هي فيما يؤلف الحياة اثناء حركتها، في ما يرفع قيمتها، وذلك هو الفعل الارادي .

وكل تفكير في الذات خطأ . ينبغي الا نلتفت الى الوراء والا فقدنا معنى الحياة والفلسفة التي تعكس الذات وتقيم الماهيات الدائمة والجواهر والطبائع مقضي عليها . لذلك نستطيع تفهم المعنى العميق لمذهب « قلب القيم » ولمذهب « الموجدة » . فليس مذهب نيتشه الخلقي رفضاً للحسد الدني، الذي يضمره الضعفاء للاقوياء فقط، والا فقدَ هذا المذهب معناه الميتافيزيكي واقتصر على

المظاهر الخارجية التي يرمز اليها .

ورسالة نيتشه لا تقل عن الرسالة المسيحية التي تريد هدمها والقيام مقامها . فالانسان الاعلى هو القديس . والانحدار الى الانسانية البسيطة بالزهو والعجب والانصراف الى النفس اي الى الخيال الميت والتحول عن الاندفاع الحيوي ، هذا الانحدار شبيه بزلة آدم . فالانسان مجرم يحد من موج الحياة ويسعى لوقفه باسطاً يداً آثمة الى القيمة الرفيعة الكامنة في افعاله الارادية • هو هارب من الحياة بينما الانسان الاعلى مؤمن وفيّ في مواجهة واجب الحياة المحتم ، يلتزم دون حساب او تدبير ، وذلك لمجرد حب الحياة ، فلا يخضع للتفاؤل او التشاؤم ولا يتوقع شيئاً نتيجة لاعماله ، ولا يذعن لغير ارادة حياة كاملة. وبهذا الاختيار يصير المصدر لكل القيم . وبذلك ينفي كل سلطة خارجية . واخيراً لا يخضع للتردد المبتذل بين الخير والشر ، بين اللذة والالم . فلا تعارض بين اللذة والالم في حالاتهما القصوى وانما ينتهيان الى شعور حيوي عنيف يستعمل كمضخم للحياة، وعدم امكان الملاءمة بينهما ، لا يبدو الا حين يظهران بالمظهر العادي .

الا يكشف هذا المذهب عن وجودية خالصة ، وذلك حين يدرج تحت اسم الحياة لوناً من الوان الطبيعة لا يختلف عن الماهيات الكلاسيكية الا في قوة اندفاعه المطلقة . فالحياه عند نيتشه هي الحياة البيولوجية . وهذه الفكرة البيولوجية فكرة شاملة — (سبينوزا) — تلائم كثرة من الكائنات . ولكن هل يخلص «الانسان الاعلى» الذي يقبل الحياة لقيم يخلص لها إنسان اعلى آخر ؟ .. اذاً ألا يكون مذهب نيتشه الخلقي عاجزاً عن تبيان مميزات الفعل الارادي الخاصة ؟ واذا كان ذلك كذلك افلا ننتهي الى مذهب خلقي عام يخضع لما وجهه «كير كجارد» Kierkergaard من نقد للابطال وأمثالهم ؟

وهكذا ينحرف نيتشه عن الوجودية هرباً من الضعف ومن مذهب شوبنهور . فقد ظهر ان الامراض والعاهات تنمي الموجدة على الاصحاء • ومهما يكن من امر الموجدة فان الشيء الذي لم يتنبه اليه نيتشه هو أنه كثيراً ما تقوم في المريض ارادة قوية في طلب الحياة بحيث نقول ان الحياة التي يحتفظ بها هذا المريض انما هي وليدة ارادته . ويمكننا ان نعتبر هذه الحالة تطبيقاً لمذهب نيتشه الذي أهملها مندفعاً في ميله الى القوة الجسمية واللحم والدم، معتبراً الفعل الارادي انفجار حياة بلغت من الشدة والعنف مبلغاً قصياً ، بينما كان يجدر به لو بقي أميناً للوجودية ان يتبين ان الحياة تعتمد على الفعل الارادي وانها رهينة به ، وان الانسان خالق ما في نفسه من بشرية. ولو انه اتبع هذا الطريق لانتهى الى الاعتراف ببعض القيم الخلقية التي انكرها • وخطأ نيتشه اعتقاده ان الفعل الارادي لا يكون قوياً الا اذا اتجه اتجاهاً تقتضيه الحياة البيولوجية. وقد كان محقاً حين قرر ان قيمة هذا العقل لا تقاس بالنتيجة التي يظفر بها صاحبه ، ولكنه لم يواصل جهده حين رغب في تكييف الارادة باعتبارها عملًا داخلياً ، لانه استمر يقيسها بعنصر خارجي وهو الميل الطبيعي للحياة البيولوجية . فليست الحياة هي التي يجب ان تحدد للارادة اتجاه مراكز تطبيقاتها ، وانما يجب على الارادة ان تحدد معنى الحياة وتبين اتجاهها . فالناسك الذي يتجه عكس التيار الطبيعي للنوازع الفيزيولوجية يوجه حياته اتجاهاً خاصاً ولكنه ليس الاتجاه المستفاد من المعنى البيولوجي المحدود للحياة ، بل الاتجاه البعيد المدى على اساس من الحياة الانسانية اكثر سعة ، وقوة فعله الارادي يمكن ان تكون عظيمة .

وموقف نيتشه يرجع الى مبدأ تفكيره في مذهب شوبنهور الذي يرى الارادة التي تبدو في مختلف الكائنات قوة اساسية في الكون تتشكل بارادة الحياة . والانسان مخدوع بهذه الغريزة العمياء التي تدفعه الى المحافظة على الحياة واذاعتها • ولكن نيتشه يرى ان « الانسان الاعلى » يعرف ان يقر في نفسه ارادة الحياة فيتخذ هذه الارادة لحسابه ويستجيب للحياة. ولكن الفعل الارادي لا يمكن ممارسته الا في سبيل ارادة الحياة. ولذلك لا ترفض ارادة الحياة ، ورافضها عند نيتشه رجل ضعيف عاجز عن مواجهة الحياة لا ثائر قوي يوجد لنفسه حياة اخرى وشخصيه قوية ، فيقاوم ما في الاتجاهات الحيوية العضوية من دفع. الى هذا يلجأ مكر الضعفاء، فقد مموها قوة هذه المقاومة الروحية التي ليست الا وهماً باطلًا . فالعزلة لا تخفي تحت ستارها الا جبناً ، ولا سيما اذ اقتصرت على مواقف روحية . ولكن ينبغي الا نخلط بينها وبين النضال الفكري الحقيقي الذي تنكشف نتائجه في الحياة كلها ، والذي يؤثر في جميع الوان السلوك بل في اشدها اصطباغاً بالمادية . وعدم الاكتراث بالعالم والتسلل من مشكلات الحياة الواقعية يستحقان اللوم. والرفض في هذه المواقف رفض متهرب يختلف كل الاختلاف عن الرفض الايجابي الذي تواجه به احياناً مقتضيات الحياة الطبيعية .

***

هذه هي المبادىء الجوهرية المميزة لمذهب نيتشه بما تشتمل

عليه من قيمة ومن مأخذ . والآن اذا استعرضنا النظريات الهامة التي شهرت فلسفة نيتشه استطعنا ان نربطها في يسر بالاصول الاساسية وان ندرك معناها الدقيق .

اتسمت المذاهب الفلسفية في القرن التاسع عشر بميلها الى التاريخ والى الاعتبارات المتصلة بالتطور . فالزمن عند هيجل وسيلة يتجلى الفكر بها ، وينشئ بفضلها نفسه في مظاهره المتوالية . اما نيتشه فمن جراء تفكيره بالفعل الارادي وعلى أثر الاتجاه البيولوجي الذي اتخذه هذا التفكير، فقد أنكر بشدة فكرة النضج المتصل للكائن الانساني خلال العصور التاريخية . يقول في « نظرات غير عصرية » : « من الجائز ان يعيش الكائن بدون ذكرى تقريباً، بل ان يعيش سعيداً ، والحيوان دليل واضح على ذلك . ولكن يستحيل عليه اطلاقاً ان يعيش بدون نسيان . ولأوضح فكرتي في شكل اقرب الى السهولة اقول ان هناك حداً من الارق والتذكر والحاسة التاريخية يُلحق الاذى بالكائن الحي ويؤدي به الى الهلاك سواء أكان الامر متعلقاً بانسان ام بشعب ام بثقافة » .

والمسؤول عن هذا الانحطاط هو الفكر . فالفكر نصيب الضعفاء يجعلهم ابرع من غيرهم ويسمح لهم بخداع الاقوياء . يقول في « أصيل الاصنام »: أعني بالفكر التدبر والصبر والمكر والمداورة والسيطرة الكبيرة على الذات ، وكل ما هو محاكاة وتقليد » يتضح لنا من ذلك اوجه الاتصال بين الفكر والزمن . فالتدبير والصبر والوان الترتيب لاتأتي دون مدة زمنية . ذلك لان الضعيف الذي لا يشعر بالثقه بنفسه محتاج الى اتخاذ الاحتياطات والحيل والمكايد يقي بها نفسه . وتفكير الضعيف هو ان الزمن سيضني القوي الذي يستعمل قواه في غير حذر ، على حين يستخدم هو الزمن لاقامة سور يقاومه به . اذاً فالزمن يستخدم في تحقيق السلطات « الزمنية » وفي جمع الاموال . وبالمال يعتمد الضعيف في هذا الصراع . ولكنه اذا اعتزل لا يمكن تصور وجوده حتى في نظره هو . اما «الانسان الاعلى» فيرتفع عن هذه الفتنة، فليس نضال ارادته موجهاً طمعاً في غنيمة ، وخطأ « داروين » هو في تأسيس نظريته على « الكفاح من اجل الحياة . نقرأ في «أصيل الاصنام » يخيل الي ان قضية « الكفاح من اجل الحياة » تبدو في الوقت الحاضر مفترضة اكثر منها مثبتة . هذا الكفاح نصادفه على انه حالة استثنائيه . . فالواقع ان الحياة لا تلوح في مجموعها بمظهر عوز ومجاعة ، وانما تلوح في مظهر ثراء وفيض بل في مظهر اسراف وتبذير . وحيث يقع النزاع في سبيل السلطة ينبغي الا نخلط بين « ملثوس » وبين الطبيعة .» وينكر نيتشه باشمئزاز التفاؤل « الانجلوسكسوني » الساذج الذي يعتقد ان التطور يحتفظ عن طريق الانتقال باكثر الاجناس البشرية والافراد تسلحاً للحياة . فالتطور والتاريخ ، وموضوعها السوقة ، يحتفظان بما يؤلف هذه السوقة ، هذا القطيع الضخم من الضعفاء . ونظرية داروين تعتبر في الواقع تقهقراً . فليس التاريخ الا مراحل انحطاط ، هي اسرائيل والمسيحية والاشتراكية . يقول في « ارادة القوة » :(اشد ما يلفتني حين القي نظري الى مآل الرجال هو ان ارى فيه دائماً عكس ما يراه داروين وأتباعه او ما يريدون ان يروه، حين يقولون بتخير الاقوى وخير منتجات النوع وبتطور هذا النوع . وما نلمسه عن طريق التجربة نقيض ذلك تماماً اذ هو انزواء النجاح وعدم الحاجة الى النماذج العليا الممتازة وتسلط النماذج المتوسطة بل الاقل من المتوسطة تسلطاً لا مفر منه).

وهذا الموقف اللاتاريخي توضحه هذه الفقره من كتاب «نظرات غير عصرية » . « اللاتاريخية شبيهة بطبقة الهواء المحيطة التي فيها وحدها تتولد الحياة » ولا ريب ان الانسان ليس غريباً عن التاريخ فان له تاريخه الخاص ، ولكنه تاريخ عليه ان يصنعه هو . وفي المؤلف نفسه : (حق ان الانسان لا يصبح انساناً الا بقوته على ان يستعمل الماضي ليجعل منه حياة ، وعلى ان يستخرج من الماضي ما يعمل فيه التاريخ من جديد ، ولكن اذا اسرف الانسان في التاريخ حرم الوجود والكيان) . ليس ما يرفضه نيتشه اذاً الا التاريخ الذي يدعي انتاج الانسان وانشاء القيم الانسانية . ولكنه يحتفظ بالتاريخ على انه الملكة التي تكون للاعمال اللازمنية ، وبها نستعيد ماضياً باكمله تتولاه هذه الاعمال فتبعثه من جديد وقد تحول وزاد ثراؤه . فحياتنا لا تمتد في التاريخ ولا تحط اثرها الفردي في تاريخ عام ، ولكنها توجد التاريخ بتقرير نفسها في كل لحظة عن طريق استئناف كامل خارج الزمن وبالقدر الذي ترضى فيه ان توافق على الماضي فانها تختاره وتكون حرة في اختيارها . حياتنا اذاً ليست مرتبطة بالتاريخ على الاطلاق «فالتاريخ في خدمة الحياة بالقدر الذي يكون فيه في خدمة سلطة لا تاريخية» (نظرات غير عصرية) وهذه السلطة هي الارادة في فعلها الخالص .

وكما رفض نيتشه واقعية جوهر سابق الوجود يكون موضوعاً لاعمالنا ، كذلك رفض واقعية التاريخ فيما اذا اعتبر الاساس العام لرغباتنا وحاجاتنا ونياتنا . ينبغي ان يخضع التاريخ للفعل الذي لولاه لهوى في النسيان . ولكل تاريخه ان اراد ، ولكن يجوز ان يريده بارادة ضعيفة ، يريده ليعتمد عليه فيخضع له بمجرد انه

اوجده . والانسان ينبغي ان يريد هذا التاريخ بارادة قوة ليجعل منه أداة يستخدمها سلطانه .

ونظرية « الرجعة الابدية » تبين ان التـاريخ ليس تقدماً وتطوراً وسعياً الى مثل اعلى علينا ادراكه . او نموذجاً للوجود علينا تحقيقه . بل هو بالنسبه للانسان الاعلى مجموعة متوالية غير خاضعة للعقل والمنطق ومكونة من المفاجآت التي تسقط على العالم في الزمن القائم كأنها الصواعق وتترك اثرها فيه . وليس الاستمرار جديراً بالاعتبار ، وليس ثمة مانع للصواعق يستطيع ان يوجه البرق في اتجاه معين دبر من قبـل . وعبثاً يحاول المتبصرون ان يجمعوا الاحداث التي يحتال تبصرهم في ادراكها، فيوحدوا اتجاهها في زمن مستمر غير منقطع اذا اختلف نسقه فـالاختلاف طفيف . وعبثاً يحاولون ان يقنعوا انفسهم بان لامستحدثات مطلقة، وانهم باستمرار نزلاء مطمئنون في عالم واحد اعدته لهم منذ الآن عناية الهية من اجل تحقيق رفاههم عـلى اكمل الوجوه. ويأتي « السادة بالطبع » فيدخلون الاضطراب على كل شيء ويمنعون الضعفـاء من مواصلة حلمهم في الحياة التافهة . ونقرأ في« انساب الاخلاق »« ذلك الذي جعلت منه الطبيعة سيداً ، ذلك الذي يظهر قوياً في اعماله وآثاره، ماذا تهمه المعاهدات ؟ لا يمكن ان تدخل مثل تلك العناصر في الحسبان ولا يمكن توقعها ، فهي تصل مثل الاقـدار دون سبب ودون علة ، دون مراعاة ودون حجة ، هي تلمع في سرعة البرق ».

على ان القوي السيد ، الذي حين يقارن بقطيع الضعفاء يختلف عنه كل الاختلاف الى حد انه لا يمكن ان يكون منه حتى موطن بغض ، هذا القوي لا يخلو الى نفسه مع ذلك في عزلة مطلقة . حتى انه رجل العزلة وانه يقيم «حيث تهب ريح صرصر عاتيـة» (زرادشت) يجب ان نعرف كيف نخلو الى انفسنا « والانسان الاعلى » يحتمل العزلة . وفي هذا شيء من روح « باسكال » ولا سيما في الملاحظة هذه : « اتضح لي شيئاً فشيئاً ما في تكويننا وتربيتنا من نقص عام . فقد تبينت ان كيفية احتمال العزلة لا يتعلمهـا احد ولا يبحث عنها احد » (فجر) . والعزلة هي القفر المروع الذي تقرر فيه جميع الافعال . لانه مهما استشرنا من اخصائيين ومهما فحصنا من امثلة وسابقات ، فانه يأتي وقت نبقى فيه معتزلين دون ان نجد سبيلاً حتى الى مناجاة انفسنا . انا نكون عندئذ في حـالة توتر عام لنقول نعم اولا. وأملنا بالنجاح وثقتنا بان اختيارنا سديد لا يمكن ان يحتفظا بأية قيمة في هذه اللحظة الدقيقة، لاننا بذلك نقامر عليها ونقامر فيها . لسنا نستطيع ان نعتمد على شيء او على أحد ،ففي العزلة تنكشف مواقف التردد : « فهناك مواقف تردد قاسية مريرة ، وقليل من يملك الشجاعة والقوة الخلقية مايسمح له بمواجهتها ، فقد تكون راكباً من ركاب سفينة وتكتشف ان ربان السفينة والنوتي يخطئان اخطاء خطيرة وانك متفوق عليهما في فن الملاحة فتسائل نفسك حينئذ : لمَ لا تثير الركب عليهما فتلقي بهما في اعمـاق السجن ؟ الا يلزمك تفوقك بذلك ؟ ولكن أليس من حقهما من ناحيتهما ان يسجناك لانك تفسد مـا لهما من طاعة ؟ هذا رمز لمواقف اخرى ارفع شأناً واشد قسوة يرد فيها دائماً السؤال نفسه آخر الامر، وهو: حين تعرض مثل تلك الحالات بماذا يمنحنا تفوقنا ثقة بأنفسنا ؟ » (فجر) . فوجه التردد هو بين الخضوع للقوانين المقررة والخضوع لقانون التفوق . ولكن اذا شعرت بالتفوق بل اجترأت عليه تعتزل غيرك وتصبح خـارج المركز العام ، خارج القواعد الخلقية ، « الاخلاق غريزة القطيع بادية في الفرد » (العرفان المرح) .

بقي اذاً ان نعرف كيف نحتمل هذه العزلة وكيف نخوض غمار أمر لا في سبيل غاية او لادراك نجاح، بل لمجرد امتحان القوة. وكل من يعرف العزلة يتردد ، وقليل من يعرف كيف يواجه مثل هذا الموقف . ولكن من يقفون على ذلك يجهلون ما « الخطأ او المراءاة » (انساب الاخلاق) « وقوام عملهم ان ينشئوا اشكالا مدفوعين في ذلك بفطرتهم وان يتركوا آثاراً عميقة . . تسود فيهم هذه الاثرة الرهيبة، اثرة الفنان ذي النظر الشديد القسوة » (انساب الاخلاق) ، وهم أثرون ، وأثرتهم ليس مصدرها انعطـافهم على انفسهم وتمجيدهم لذاتهم ، بل أثرتهم قوة تجهل غيرها من القوى الا حين يقتضي الامر هدمها . وعزلتهم تجعل منهم كائنات مطلقة وآلهة لا تنزل عن عزلتها ، ولكنها تحدث في العالم لمجرد حضورها الفعال تعديلات عميقة الاثر ولا سيما في الضعفاء . فالحضور المستكبر المزدري من « الانسان الاعلى » حضوره الغائب سينزع القطيع من سعادته البليدة اذ يوجد فيه ضمير السوء . « نعم يا صاحبي انت ضمير السوء في نظر اقربائك لانهم ليسوا خليقين بك » (زرادشت) .

حينئذ يقوم « الانسان الاعلى » بدور مماثل لدور الرقابة عند « فرويد » (Freud) فيكبح في الضعيف كل حركة من شأنها بسط الذات ولا سيما غريزة الحرية . « لا ينبت فيهم (الاقوياء). ضمير السوء ولكن لولاهم لما ظهر هذا النبات الشنيع ولما وجد ، فانه يسبب طغيان طبيعتهم الغنية وعلى اثر ضربات مطـارقهم اختفت من العالم كميات هائلة من الحرية او على الاقل اختفت عن

الاعين مضطرة ان تنتقل الى حالة قوة مضمرة . غريزة الحرية هذه، التي اصبحت في حالة مضمرة علـى اثر القهر والتي اضطرت الى الانكماش والارتداد والى الانزواء في الداخل، وهي لم يبق لها مجال تمارس فيه الا داخل نفسها، هذه الغريزة،هذه الغريزة وحدها (ولم نلبث ان تنبهنا الى ذلك) كانت في مبدأ ضمير السوء» بذلك يفقد الانسان وحدته الحيوية ولا يستطيع المطابقة بينه وبين نفسه.

والسادة يتابعون حربهم على الرقيق بل يوجدون بينهم النزاع والشقاق. وضمير السوء شبيه بسوء النية عند « سارتر » (Sartre) الذي يزيف الواقع الانساني ويعتبر مصدر الموجدة والتبديل المطلق للقيم. وضمير السوء ليس الا الضمير المنعكس الذي به يضبـط اندفاع التيار الحيوي ولعله الضمير نفسه.

ابتداء من ذلك لن يسكن الانسان آثاره، فسيقوم دائماً فاصل بينه وبينها، وهو فاصل التفكير الذي صدرت عنه هذه الآثار فاصل الرجوع الى الوراء الذي يتخذ للحكم عليها والتحقق منها أهي مطـابقة تامة للغرض الذي فكر فيه الذهن طويلاً. فكل أثر خارجي امتداد لاثر داخلي يواصله الانسان فيما بينه وبين نفسه وعلى نفسه، وهذا الاثر الداخلي هو الذي يشكل بصورته ويغذب نفسه لانه اصبح هو نفسه الموضوع الذي تمارس عليه سلطته المرتدة التي لا تستطيع ان تنمو نمواً طبيعياً في الخارج. فتحل الحياة الداخلية المشتملة على مثل اعلى للطهر والتسلل من الحياة الواقعة، محل الحياة وهذا مثل اعلى للجبن. هذا الموقف الناشيء عن ارادة فاسدة عديمة الحيوية ينشيء ايضاً « قيماً» ولكنها خيالية معكوسة ليس لها طابع مطلق ولا تظهر الا في هذا الشقاق الداخلي، في التعارض والتناقض بين الانسان ونفسه. وهذه القيم الجديدة هي مثل اعلى شاحب سلبي يرتسم على ظهر القيم الحقيقية التي تطرح في الظلام وتسمى: الشر والقبح. وهي قيم احتجاجية ليست شيئاً في ذاتها ولم تكن لتصير شيئاً لو لم تجد امامها الحق الذي تحتج عليه. وهذا مصدر الاضداد في الاخلاق. والانسان اذ يعجز عن اقرار الحياة ينقسم بين واقعيتها المادية التي ينبذها مدفوعاً في ذلك بالزهد والاشمئزاز، وبين مثل اعلى لا يحققه ولكنه وهم حيوي يعينه على احتمال ما بقي من حياته التعسة.

اما السادة فيعرفون كيف ينتزعون انفسهم من هذا المثـل الاعلى الوهمي. « وحين يعمل الفكر بجد وحزم وأمانة يستغني اطلاقاً عن مثل اعلى. والعبارة الشائعة التي تطلق على هذا الاستغناء هي الالحاد» (انساب الاخلاق). فليس الالحاد الا الحرية المطلقة التي تترك للانسان في عزلته حتى دون ان يبقى له العزاء في مواجهة نفسه، لانه لا يجد في نفسه اية صورة من صور الاله حتى يطمئن لها ويرضى عنها • وهذا الالحاد هو الذي « نتنفس مرتاحين في جوه، نحن اصحاب الافكار الروحية لهذا العصر»، ثم يضيف: « ان الكارثة التي يحتمها ضغط قوي على غريزة الصدق لاكثر من الفي عام مما دفع هذه الغريزة في النهاية الى ان تحوم عـلى نفسها كذب الايمان بالاله». (انساب الاخلاق).

وسواء ابحث الانسان عن مثل اعلى خيالي، ام استكشف فجأة بطلان هذا المثل الاعلى ووهمه، فانه يبين عن رغبة اكيدة في معرفة الحق. على اننا نشهد خلال القرون آثار هذه الرغبة وكأنها ريح تعصف بكل شيء، فتهدم العالم السخيف للآلهة الزائفة التي اوجدها الانسان ليوهم نفسه ان في كنفها السند والهدى. « مات الاله»، بهذا يتنبأ « زرادشت ». والرغبة في الحق ايضاً زهدها ومثلها الاعلى في الطهر. وهي تنتهي الى عالم اجوف يصبح ميداناً للاقوياء، لان الرغبة في الحق لا تنتهي الى امر يستكشف اوالى شيء يكون موضع حب اوتأمل، او إلى حل يأتي بالراحة، اوالى ضمان نهائي للانسان الراحل، وانما تؤدي الى المشكلة الابدية. وشعور الانسان انه لا يوجد شيء بالاضافة اليه الا هذه المشكلة وهي معرفته أيستجيب للحياة ام يرفضها دون سبب ودون نصيحة، هذا الشعور هو الذي يعتبر في نهاية الامر، الواقع الانساني الوحيد واساس المغزى الذي سنطلقه احراراً على وجودنا، وهو لن يكون الا معنى شخصياً مقصوراً علينا. والانسان كائن يعتبر نفسه مشكلة بالقياس الى نفسه.

هذه النتيجة التي تظهر فيها بجلاء وجودية نيتشه، من شأنها ان تذيع الفزع في النفوس الضعيفة الوجلة. فلم يظهر مذهب قرأه الانسان في مثل هذا الحرمان وهذه العزلة بحيث لا تبقى له بعد ذلك الا ارادته. ولنلاحظ أن هذه الارادة ليست شيئاً ولا حالا وانما تؤول الى فعل ينبغي ان يجرؤ الانسان على الاقدام عليه وعلى المجازفة به. والخطوط الاساسية التي تؤلف هذا المذهب فيما يتصل بالوجودية قوامها معارضة فكرة الجوهر وفكرة الحقائق الابدية، واستخدام حرية مطلقة تظهر عن طريق « ارادة القوة ».

وقد لا تكون وجودية نيتشه مطابقة لكل فلسفته. فقد كان يعبر دائماً عن افكاره بواسطة الامثال والاستعارات، فلم يضع مذهباً مقرراً بل هو عدو المذهب المقرر الذي يبدو في آثار « هيجل» صاحب الرأي المناقض للوجودية. لذلك فهناك آراء لنيتشه تصور مظهراً آخر من مظاهره. ولكننا نضرب صفحاً عنها الآن، لان مهمتنا درس السمات الدالة على فكرة وجودية عنده.

محمد وهبي

للشاعر القروي

•

دمعات من الشعر

•

اليكم هذة العشر دمعات من الشعر بكاها قلبي اذ كنت يوماً على رمال ثغر سنطس ، فتلهفت على ايام صباي ومرحي على شواطىء « بربارتي » الساحرة (بلد الشاعر)

فقال احد الرفاق : انك لا تزال فتياً يا قروي ! وهنا ايضاً شمس وبحر وشاطىء جميل ، فلمَ شكواك وعلام أساك ؟ !

•

تضيق بي الدنيـا اذا ذُكر الحمى … كأني من عرض البرازيل في حبس

ولي كل يوم للحمى الف رجعـة … عـلى الف فلك في مرافئه ترسي

يسـير معي لبنـان أنى توجهت … ركابي ، لو يغني الخيال عن الحس

وقالوا هنـا شمسٌ وبحـرٌ ورملة … أباللفظ يعنون الجمال ام الجنس ؟ !

فما ابعد الاسمـاء عن مسمياتهـا … واغرب شمس الارز عن هذه الشمس !

هبوا اعتضت عن دنيا بدنيا جديدة … أأعتاض عن اهلي ؟ أأعتاض عن نفسي ؟

أأعتاض بالذكرى عن الحب واضعاً … بـكفي اكاليل الزهور على رمسي ! !

واعجب منه قولهم لم تزل فـتى … فماذا رأوا مني وقـد جهلوا امسي

فتوة نفس كَرْهـا لا اتقـاؤها … اذا فُل سيفي فالسلام على ترسي

اعف عن اللذات حرصاً على البقـا … فاسقي الردى خمري لتسلم لي كأسي ! !

« مما لم ينشر بعد »

الولادة الجديدة

من ديوان القروي – باب "الازاهير"

☆

اذا الشمس يا ام لاحت هتفت هتاف الغريب رأى الموطنا
وقبلت غرتها بالبنان وطوقت بالساعدين السنا
كذلك كنت امد يدي الى النار طفلاً ، أطفل انا

***

وإذ يكفهر جبين السماء وترسل اجفانها الدمع طلّا
وتنشر فوق الرؤوس المظلات لم أرض غير السحابة ظلا
كذا كنت اعشق خوض الجداول طفلاً ، فهل عدت يا ام طفلا ؟

***

مررت باترابي التاجرين فلم ألق إلا العبوس الوقورا
فملت الى الحقل حيث الصغار تناغي الطيور وتجني الزهورا
فهل صار كل رفاقي كهولا وهل انا وحدي ظللت صغيرا

***

فأسمعني الطير عند الصباح جواب الطبيعة لي تنشد
بني ولدتك طفلاً جديداً فقل للرفاق الاولى تعهد
لقد ملأ الارض اولادكم وانتم الى الآن لم تولدوا !!

●

الحسونة الفقيرى

من ديوان القروي – باب « زوايا الشباب »

☆

كيف السبيل الى رضا حسونتي الا بكم فمي وقص جناحي
لم تهوني الا لأني بلبل وتوت ان سمع الطيور صداحي

***

هي دون كل الطير لي معبودة لا اشتهي الا لذيذ غنائها
واذا شدوت فزقزقت عصفورة في الحقل روعت الضحى ببكائها

***

تشكو العذاب فلا ارى لعذابها – وانا صريع غرامها – من باعث
في صدرها الواهي جراح صبابة غريت بها اظفار شك عابث

***

حسونتي رفقاً بضعفك واعلمي اني وحق هواكِ عبد هواكِ
لا تجزعي ان كنت اضحك واجزعي ان كنت ابكي في الهوى لسواكِ

***

هلّا سمعت اذا استكن الطير في اعشاشهن تنهدي ونحيبي
أعصرت الا فيك منديلي وهل حيرت الا في هواك طبيبي

***

يا من يحولني غراباً ناعباً كي لا تموت لميتي واموتا
هي لا تطيق الصبر ان فتن الورى شدوي ولا انا استطيع سكوتا

أثر فني

قصة

لانطون تشخوف ترجمة: سهيل ايوب

دخل ساشا سميرنوف – الابن الوحيد لامه – عيادة الطبيب لوشيلكوف بعصبية ظاهرة، وهو يتأبط شيئاً ملفوفاً بصحيفة فابتدره الطبيب قائلًا بحرارة .

– حسناً يا عزيزي الصغير . كيف تشعر هذا اليوم ؟ وما هي اخبارك الطيبة ؟ فأخذت عينا ساشا تطرفان ، بينما وضع يده على قلبه . ثم تمتم مضطرباً .

– ان والدتي ترسل لك تمنياتها وشكرها الجزيل . . . انني الابن الوحيد لامي ، وانت انقذت حياتي . . وكلانا لا نكاد ندري كيف نشكرك . فقاطعه الطبيب وهو يذوب – ان صح التعبير – سروراً .

– تعال ، تعال يا صديقي الصغير ، ودعنا لا نتكلم في ذلك انني لم افعل الا ما يفعله اي شخص آخر في مكاني .

– انني الابن الوحيد لامي . . ونحن اناس فقراء ، ولسنا في مركز يسمح لنا بأن ندفع لك اتعابك . . . وهذا ما يجعلنا يا دكتور في حيرة شديدة بالرغم من اننا ، امي وانا الذي اكون ابنها الوحيد ، نرجو منك ان تقبل هذا الدليل على اعترافنا بالجميل . هذا الشيء الذي . . هو شيء ذو قيمه نادرة . انها قطعة فنية نادرة من البرونز القديم . فعبس الطبيب وقال .

– لماذا يا صديقي العزيز ؟ هذا غير ضروري على الاطلاق . انني لست في حاجة الى هذا قطعياً .

– أوه كلا ، كلا . انني اسألك ان اردت ان تقبلها . وابتدأ بفتح الرزمة متابعاً التماساته في تلك الفترة .

– اذا لم تقبل هذه ، فانك تسيء بذلك الينا كلينا ، امي وانا . انها لقطعة فنية نادرة من البرونز القديم . انها لبقية تركها لنا المرحوم والدي . وكنا نعتبرها مثل ذكرى عزيزة للغاية . . ولقد اعتاد والدي ان يشتري التماثيل البرونزية القديمة ؛ فيبيعها الى هواة النحت القديم . . والآن ، نحن نمارس العمل نفسه امي وانا . وفتح ساشا الرزمة ووضعها على الطاولة .

كانت شمعداناً واطئاً من البرونز القديم . كانت عملًا حقيقياً يمثل جماعة : فعلى القاعده وقفت امرأتان بثياب الام حواء . وفي وضع لا املك له الجرأة ولا المزاج اللازمين لوصفه . وهاتان الصورتان كانتا تبتسمان بصورة فاجرة . وعلى العموم تعطيان هذا التأثير ، وهو انها لولا اضطرارهما في الحقيقة لحمل الشمعدان الصغير ستنحنيان من على قاعدتها وتقومان بحركة هي . . يا قارئي العزيز ، انني لخجل حتى من التفكير في ذلك .

وبعد ان فحص الطبيب الهدية . حك رأسه ، ونظف حنجرته ثم مسح انفه وتمتم .

– نعم . انها في الحقيقة لقطعة فنية رائعة . . ولكن – كيف اقول ذلك – ليست تماماً . . انا اعني . . بالاحرى غير عادية . . ليست ابداً . . انت تعرف . . الشيطان يعرف . . – كيف ؟

– بعلزبول نفسه لا يقدر ان يتصور في ذهنه شيئاً اكثر شناعة ، لو اني وضعت هذا الشيء المثير للتخيلات الشيطانية على منضدتي . اذن لدنست منزلي بكامله . وصاح ساشا في نبرات غاضبة .

– كيف ذلك يا دكتور . اي مفهوم غريب عندك عن الفن ! انها قطعة فنية حقيقية . انظر اليها فقط ! ان جمالها المنسجم الى درجة انك لو تأملتها فحسب لملأت نفسك انذهالا ولجعلتك تبعث من حنجرتك شهقة ! عندما تنظر لمثل هذا الحسن ، تنسى كل شيء ارضي . . انظر اليها فحسب ! اية حياة ، واية حركة . فأجاب الطبيب .

– لقد فهمت تماماً ياصديقي الصغير .

ولكنني رجل متزوج ، ولي اطفال صغار يركضون داخل هذه الغرفة وخارجها وهناك نساء يأتين الى هنا على الدوام .

– طبعاً . لو نظرت اليها بعيون رعاع الناس ، لانكرت هذه القطعة الفنية النادرة . ولكنك بالتأكيد ، وفوق هذا كله يا دكتور ، وعلى الاخص عندما يكون رفضك لهذه الهدية سوف يجرحنا كلانا ، امي وانا الذي اكون ولدها الوحيد . . وانت انقذت حياتي . . وبالمقابل ، نحن نقدم لك اعز ممتلكاتنا و . . ان اسفي الوحيد هو عجزنا عن ان نقدم لك رفيق هذا الشمعدان .

– شكراً يا صديقي شكراً . . اذكرني عند والدتك و . . . لكن بحق الله ! انك لتستطيع ان ترى وحدك ، اليس كذلك ؟ ان الاطفال الصغار يركضون داخل هذه الغرفة وخارجها والسيدات يأتين الى هنا دون انقطاع . . وعلى كل حال ، دعه هنا ! فان اية مناقشة لا تفيد معك .

واجاب ساشا ببهجة ظاهرة .

– لا تقل كلمة اخرى . ان الشمعدان ليكون في محله تماماً ، لو وضعته في هذا المكان الى جانب إناء الزهور هذا بحق الاله ! انه لشيء يؤسف للغاية . لانني لم احصل على رفيق هذا الشمعدان لاعطيك اياه .

حسناً ، وداعاً يا دكتور !

وبعد رحيل ساشا القى الطبيب على الشمعدان نظرة طويلة وحك رأسه وفكر في نفسه قائلاً .

— انه لجميل ، حسناً . انه لمن المؤسف ان يرمي به بعيداً . . ومع ذلك فلا اجرؤ على الاحتفاظ به . . ! . . والآن لمن استطيع ان اقدمه .

وبعد مداولة طويلة ، وقع على صديق له عزيز ، وهو المحامي يوكوف الذي كان مديناً له بخدمات ثانوية . وصاح الطبيب .

— اني بصفتي صديقاً حميماً له . فلست استطيع ان اقدم له مالا . . وهكذا استطيع ان اعطيه هذه القطعة بدلا عنها . وهو بالضبط اصلح رجل لها . . ونوعاً ما له نفسية العصفور المرح ايضاً .

وما كاد يفكر في ذلك ، حتى انتقل الى مرحلة العمل . فارتدى ثيابه . وحمل الشمعدان ثم ذهب الى منزل المحامي يوكوف .

— صباح الخير ايها الفتى الكبير! لقد اتيت الى هنا لاشكرك على ازعاجي اياك . . انك لن تأخذ مني مالاً ، ولذلك سوف اكافئك بأن اهديك هذه القطعة الفنية . . والآن قل من نفسك ، أليست هي حلماً ؟ . وما كاد المحامي يراها حتى دهش لجمالها الرائع ، ثم قال وهو يضحك . — يا له من عمل فني جميل! بحق الآلهة ! يا لها من مفاهيم يبتدعها الفنانون في رؤوسهم ! اي رونق جذاب ! من اين جئت بهذه الاناقة اللطيفة ؟

الا ان حماسته ما لبثت ان خمدت . واصبح صاحبنا مذعوراً ، وقد راح يقول وهو يتطلع خلسة الى الباب .

— ولكني لا استطيع قبولها ايها الشاب الكبير . يجب ان ترجع بها ثانية . فقال الطبيب فزعاً . — ولماذا ؟

— لانه . . لانه غالباً ما تزورني والدتي ، واصحاب الاعمال يأتون الى هنا كثيراً . . والى جانب ذلك . فان خدامي انفسهم سوف يأخذون على هذا الامر . وصاح الطبيب وهو يحرك يديه حركات جنونية . — اياك وان تقول كلمة اخرى . ان واجبك بكل بساطة ان تقبلها . ولكن رفضك لها لا يكون سوى نكران الجميل . مثل هذه القطعة الفنية ! اية حركة ، واية تعبير . . اني اعدها اهانة كبيرة لي ، ان لم تأخذها مني !

— لو انها فقط كانت مدهونة . او مغطاة بأوراق التين . . ولكن الطبيب رفض الاستماع اليه . واخذ يحرك يديه بشدة اكثر من ذي قبل ، ثم خرج من المنزل راكضاً وهو يظن انه قد تخلص اخيراً من الهدية . وبعد ان خرج الطبيب . اخذ رجل القانون يفحص الشمعدان بكل تأن . وبعد ذلك ، فعل مثلما فعل الطبيب ابتدأ يتساءل . ماذا يستطيع ان يفعل بها . وفكر في نفسه قائلاً .

— حقاً انه شيء جميل . وحرام ان ارميه بعيداً . ومع ذلك فانه من العار ان احتفظ به . . من الافضل ان اهديها لشخص ما . انني اعرف لمن اعطيها . سوف اقدمها في هذا المساء للممثل شوشكين . ان هذا الخبيث ليحب مثل هذه الاشياء . والى جانب ذلك ، فهو يحب ان يستفيد من كل شيء . . وما كاد يفكر في ذلك حتى ابتدأ يحققه . وبعد ظهر ذلك اليوم ، حمل الشمعدان المحزوم جيداً . الى الممثل شوشكين .

وقد ظلت غرفة الممثل شوشكين طوال ذلك المساء ، محاصرة من قبل الرجال الذين تسارعوا من كل جانب ليفحصوا الهدية . وظلت الغرفة طوال ذلك الوقت تتجاوب بأصداء الضحكات المرحة التي كانت اشبه بصهيل الخيول منها بأي شيء آخر .

وعندما كانت تقترب احدى الممثلات من الباب وتقول .

— هل يمكنني ان ادخل ؟ كان صوت شوشكين الجلف يجيبها مباشرة . — اوه كلا ، كلا يا عزيزتي . انك لا تقدرين ، لانني لم ارتد ثيابي بعد ! . وبعد ان انتهى التمثيل هز كتفيه وحرك يديه ثم قال .

— الآن ماذا عساي ان افعل بهذا الشيء . انني اعيش في جناح منعزل . وغالباً ما تزورني الممثلات وليست هذه بالصورة الفوتغرافية التي استطيع ان اخبأها في احد هذه الادراج . ويقترح عليه خادمه بقوله . — لماذا لا تبيعها ؟ هناك امرأة مسنة تشتري تماثيل البرونز القديم . . تدعى سميرنوف . . من الافضل لك ان تسرع الى هناك ، ولسوف يدلونك على الطريق اليها . اذ ان الجميع يعرفونها .

وبعد يومين بينما كان لوشيلكوف جالساً في عيادته يحضر بعض الحبوب . ورأسه مسند على يديه . فتح الباب فجأة واندفع ساشا داخل العيادة .

كان يبتسم ببهجة شديدة ، وصدره مثقل بالفرح . . وكان يحمل بين يديه شيئاً ملفوفاً في صحيفة . وصاح منقطع الانفاس .

— يا دكتور . تصور سروري ! فكأن الحظ يريد ان يفرحني . لقد نجحت لتوي في الحصول على رفيق شمعدانك . ان امي لسعيدة جداً ! انني الابن الوحيد لامي . . وانت انقذت حياتي .

ووضع ساشا وهو يرتجف شكراً وطرباً شمعداناً امام الطبيب ، ففتح هذا الاخير فاه . وكأنه يريد ان يقول شيئاً . ولكنه لم ينبس بكلمة . ان قدرته على الكلام . كانت قد ذهبت

دمشق — سهيل ايوب

محنة المرأة العربية ..!

لا يزال المجتمع العربي يطوي في خلاياه ، في أعضائه، قدراً كبيراً من مخلفات القرون البائدة، ولا يزال مكبلا بحلقات ضخمة من المفاهيم التي أندرس محيطها، أعني زمانها ، وكان في ميزان التطور، والتقدم، أن تفنى مع تفسخ جزيئات محيطها وزمانها ، لينفتح أمام غيرها مسرى الحياة والبقاء!

في البيئة العربية، في مجالات المجتمع، وفي عقول الافراد، تعشعش قيم ونظم تهرأت وفقدت نبض الحياة منذ زمان بعيد، فراحت تستمد قطرات الوجود من دوافع التقدم وحوافز التطور ، وتشد القافلة العربية الى الصحراء ، والمجتمع العربي لا يزال الكساح يرتع في حجيرات أقدامه، لان الجمود لا يزال يمتد في ذرات فكره ، ولان الريب لا يزال يفتل ألياف قلبه...

المجتمع العربي يعاني اليوم، في مدارج التحول، أزمة خطيرة.. وأزمته الحاضرة ترجع ، في ابتدائها ، في جذورها ، في بواعثها الاولى ، الى ذات كيانه ، الى فكره ، الى قلبه ...

فالنظم السائده الممسوخة، التي تجر وراءها كل انواع الجراثيم والاوبئة التي تفتك بعوامل الحيوية ، ودوافع التقدم ، ومهاميز التطور ، هذه النظم هي التي تسد مجالات الهواء ومسارب النور أمام الكائنات ، فلا تتفتح فيها كوامن الخلق والابداع والنمو لتصبح جزءاً حياً في مجموع الجسم الانساني!

ان مبعث الامراض الاجتماعية والخلقية والاقتصادية التي تلتهم الكيان العربي وتهده وتزعزعه وتتركه مضغة سهلة، ليس الا ذلك التراث الشائه الذي يضع لحلقات حياتنا المفاهيم والمقادير... ان حياتنا الحاضرة مريضة... وجرثوم مرضها ينفلت من القبور الزائلة... ان مجتمعنا والضوابط التي تمسكه ، أو تخنقه ، كمثل لغة حديثة تحاول أن تحكمها وتخضع سيرها لقواعد لغة مندرسة ليس في العالم من يتكلم بها أو يعرف عنها شيئاً !

ومحنة المرأة العربية، كأية محنة نعانيها ، تنبعث من طيات هذه الازمة الخانقة التي تعصف بالمجتمع العربي... ان مركز المرأة العربية المزري ما هو الا وجه كريه من وجوه الرضوخ لسياط القرون المظلمة، انه جزء من كل، جزء من تقهقر كبير، أو جمود كبير، أو انكماش كبير ... انه متأت من سيادة مفاهيم وتقاليد شائخة زمنية ، مفاهيم وتقاليد لا تستطيع أن تعيش في عصر الطائرات والقنابل الذرية..!

ولا تتخلص المرأة العربية من كوابيس عبوديتها الا متى شعر الفرد العربي بأنه قد تأخر كثيراً ، وأضاع كثيراً ، ورضخ طويلاً، وسكت طويلا ، وأن عليه أن يبدأ كفاحه على أسس جديدة متينة تأتلف ، في خطوطها ، مع العصر الجديد !

وهذا الشعور، قد بدأ يترعرع في سويداء الفرد العربي... وهذا هو بداية الانعتاق... الانعتاق من كل الاسقام التي تأكل في كياننا!

ومتى ادرك المجتمع العربي ضرورة تغيير اسلوب تفكيره وأسس حياته ، تغييراً عاماً يطيح بالاصنام الجوفاء الى الهاوية ، فقد بدأت الحياة ، واستيقظت بذور التقدم والنماء..!

وواجب المرأة العربية يجب ان ينصرف في هذا الاتجاه ... أعني ان تدرك المرأة ان تحررها مناط بخلاص المجتمع العربي مما يعشش في زوايا ذهنه من رواسب القرون المنقرضة ..!

وعلى المرأة أن تدرك أن مركزها يتطور بتطور التفكير الاجتماعي العام، فعليها ان تعمل، ما امكنها، ومحيط عملها كأم اخطر محيط، لبذر روح جديدة صحية، وتمحق كل الخرافات السامة والتقاليد الجائرة!

على المرأة العربية ان تتآزر في نشاطهـا الاجتماعي القومي الاصلاحي مع الرجل العربي، لان كلا منهما يحتاج الى جهود الآخر، ولان لهذا التآزر اثراً كبيراً في نبذ التقاليد القديمة التي تمسك الى الوراء ، والغاء الافكار الجديدة التي تدفع الى الامام.

وعلى الفرد العربي ان يوقن بأن المرأة نار ونور ... هي نار جاهلة محرقة في البيئات التي يخنق انفاسها الظلام ويقتل ابداعها الجهل . وهي نور ناصع مضيء في البيئات التي مزقت عن عيونها حجب الحلكة وفتحت أبصيرتها لنور المعرفة..!

المرأة هي التي تصنع جيلها ... فكيفما تكون يكون الجيل... ولا سبيل لخلق جيل جديد للامة العربية اذا أهملت المرأة واحتقرت واغلقت في وجهها منافذ الحياة !

غيروا ما في نفوسكم... وطهروا قلوبكم... وأزيلوا الصدأ عن أذهانكم... ان فعلتم ذلك أهتديتم الى الطريق السوي ...ووجدتم المرأة، في الطليعة، تناضل معكم وتبارك الاجيال!

بغداد — سوسن عبدالله

السكون الفني

بقلم الدس هكسلي

☆

لا يمكننا الا ان نجرب جميع الاشياء الاساسية ، جميع الاشياء ذات الاهمية العظيمة للروح الانسانية ، ابتداء من الاحساس الخالص ، الى الذوق الجمالي ومن اللذة والالم الى الحب والنشوة والموت. كل هذه الاشياء لا يمكننا الا تجربتها اما التعبير عنها فلا . وانما لا يسعنا حيالها السكون .

واقرب شيء يعبر عن هذه الامور التي لا يستطاع التعبير عنها بعد السكون ، هي الموسيقى . « ومن الامور التي لها دلالتها ان السكون جزء مكمل في جميع القطع الموسيقية الجيدة . ولو وازنا بين موسيقى واجنر الصاخبة الدائمة التدفق بموسيقى بيتهوفن او موزار ، لوجدنا موسيقى واجنر جد فقيرة في السكون . ولعل هذا من اسباب فقر معانيها بالنسبة للآخرين . فهي « تقول » قليلاً ، لانها تتكلم دواماً » .

ومن جهة اخرى تعبر الموسيقى عن مجموعة من اعظم تجارب الانسان دلالة وأصعبها على التعبير . فهي تثير في عقل المستمع ، بوجوه الشبه المبهمة فيها ، طيف هذه التجارب احياناً ، بل التجارب ذاتها احياناً اخرى بجميع قواها . ولا يعتمد ذلك الا على الشغف والحماسة ، فالطيف قاتم ، اما الحقيقة فقريبة مشرقة . وقد تستدعي الموسيقى التجربة وطيفها معاً ، فالمصادفة هي التي تقرر ذلك . فان نبضات القلب لا تخضع لقانون معروف . وميزة الموسيقى الاخرى « التي يشاركها فيها جميع الفنون الاخرى الى حد ما » هي قدرتها على اثارة التجارب كاملة غير ناقصة « كاملة وغير ناقصة بمقدار استعداد المستمع على تقبل التجارب » ، مهما كانت الاصول المستدعاة جزئية ، او مضطربة . ونحن مدينون للفنان ، وخاصة الموسيقي ، لانه « يقول بوضوح ما شعرنا به دائماً ، ولكننا لم نستطع التعبير عنه ابداً » . وحين ننصت للموسيقى المعبرة ، لا نشعر بطبيعة الحال بتجربة الفنان الاصلية (التي هي وراء استطاعتنا ، فالاعناب لا تنمو على الاشواك) وانما نشعر بأحسن تجربة من نوعها تقدر على الشعور بها طبيعتنا — وهي في الحقيقة تجربة احسن واكمل من جميع التجارب التي شعرنا بها قبل الاستماع للموسيقى .

وقد عرف اعاظم الفنانين مقدرة الموسيقى على التعبير عن الامور التي لا يمكن التعبير عنها . فالانسان الذي كتب « عطيل » و« قصة الشتاء » كان قادراً على التفوه بأي شيء من الالفاظ التي يعطيها هو دلالاتها الخاصة ومع ذلك فان شكسبير حينما يضطر الى التعبير عن شيء في طبيعة الانفعال او الاحساس الغامض يعمد الى الموسيقى لتساعده على « التعبير » .

وتقنعني تجربتي الصغيرة المحدودة في الانتاج المسرحي ، انه اذا احسن المؤلف اختيار موسيقاه ، فان جهوده لن تذهب سدى . فقد اخذ مؤلف المسرحية المقتبسة من روايتي المسماة Point Counter Point بعض مختارات من الحركة البطيئة من موسيقى بيتهوفن كجزء مكمل في الفصل الاخير من الدراما . ولا تحضني المسرحية او الموسيقى ، ولذلك فاني في حل من القول بان تأثير القطعة الموسيقية ، حين عزفت في العرض ، كان رائعاً في نظري على الاقل .

«لو كان لدينا عالم ووقت كافيان . . . » ولكن هذه هي الاشياء التي لا يستطيع المسرح ان يعطينا اياها . فقد كان من الضروري ان تحذف من المسرحية المختصرة معظم النقط التي لطفت ، او كان المقصود منها على الاقل ان تلطف مواضع الخشونة في الرواية . فكانت المسرحية خشنة وقاسية في جملتها وبدت القطعة الموسيقية الناعمة ، وهي تندفع فجأة في عالم الخشونة المتطرفة هذا ، بدت كأنها شيء غير طبيعي . كانت كأنها إله يهبط فتراه العين ، مخيفاً ومطمئناً ، وقد لفه السلام بغموض يفوق كل مفهوم جميل مقدس .

ولو كانت روايتي « سفر الاعمال » وكان مقتبسها المستر كامبل دكسون Campbell Dixon ، مؤلف مكبث ، فانه مهما بلغت قوانا ، ومهما اجتهدنا ، فاننا سنجد انه من المستحيل ان نعبر بالكلمات او التمثيل المسرحي عما اظهرته تلك الدقائق الثلاث او الاربع من العزف على القيثارة لكل مستمع حساس ذلك الظهور البراق .

وحين ينبغي التعبير عما لا يمكن التعبير عنه يضع شكسبير قلمه ويستدعي الموسيقى . فاذا اخفقت الموسيقى ايضاً ، فعلى السكون ان يخيم . لان الشيء الباقي في كل زمان ، وفي كل مكان هو السكون .

القاهرة

ترجمة : حسين نصار

ليسانسيه في الآداب

قصة

ذيول الخريف

بقلم عبد الملك نوري

بف بف بف بف ... وتمضي المضخة الهرمة في هديرها الكئيب، وتطلق دخانها الاسود في الفضاء الخضيب بدم الشمس الغاربة؛ ويمضي دجلة صخاباً مزبداً، يلتف على نفسه عند الشواطىء في دوامات كدراء بلون الطين، وتطفو فوق البساتين المحتشدة على ضفتيه غمائم منقوشة كنديف القطن الملون. تعانيها رياح الخريف ..

وينهض (عناد) عن مجلسه الحجري — تحت الدوحة الوريفة الضخمة — ويطلق آهة متعثرة كليلة، ويدخل حجرة صغيرة خربة تجثم فيها المضخة التي رافقت شبابه وكهولته، وينتزع من الحائط سروالا مرقعاً رثاً يستبدل به سرواله الازرق المنقوع بزيت المكائن ثم يغادر الحجرة، ويعبر الساقية القديمة، يتراكض فيها الماء بين صفين من الحشائش الخضراء، ويتجه الى كوخ الخبازة (نشمية).

وينتشر المساء، وتزداد الوان الشفق المتغيرة اظلاماً، وترف فوق دجلة نسمة باردة، فيرتعش الثوب المهلهل فوق صدر العامل الكهل، وتتغلغل النسمة الراعشة بين عظامه البالية واوصاله المجهدة، ويحس بقشعريرة، ويذكر الشتاء ومآسي الشتاء، وتلتمع في عينيه الخابيتين بسمة مريرة، وتدهم قلبه كآبة غامضة، ويمضي في الطريق الاغبر الطويل، وئيداً متمهلاً، حتى يصل كوخ الخبازة الارملة؛ ضيق الصدر، مقطوع الانفاس، ثقيل الخطى، ويلمح عن كثب نيران التنور تخفق بين يديها وينشق بملء رئتيه الخربتين اريج الخبز الساخن الشهي، فيلوح البشر في عينيه الضيقتين، ويفتل شاربيه الرماديين، ويتأمل الايدي المتزاحمة على الارملة... ثم يعدل قامته ويبصق على الارض ويدلف مزهواً الى الكوخ:

— احم، احم .. عمي مساء نشمية!

— ابا علوان، اهلاً عيني، اجلس هناك، سأنتهي في الحال!

وينظر الى عينيها المريضتين الدامعتين، ويجلس على دكة بعيدة عن جمهرة الزبائن الملهوفين غير بعيد عن البساط الرث القديم الذي تفترشه امها المقعدة العمياء، وقد تدلى من بين اصابعها المعروقة مغزل راقص صغير — كالمشنوق تعبث به الانواء.

— كيف حالك يا خجة؟

— من هذا؟ عناد. — نعم!

— وفقك الله يا عناد. — هاه، لماذا؟

— هدمت بيتي، وخربت حالي .. الله يجازيك ..

ويسكت عناد على مضض، ولا تسكت العجوز، فيشغل عينيه ويديه بكيس التبغ المعلق بحزامه، ثم يأخذ في صنع لفافة بتؤدة، وعيناه تحطان بين آن وآن على الخبازة المنهمكة في عملها المرهق الشاق.

كان ثوبها الاسود الوحيد فضفاضاً حول جسدها الراهل الندي تفوح منه رائحة عرق نفاذة، وقد حال لونه الى لون الرماد لكثرة ما علق به من ذرات الدقيق، وبين لحظة واخرى تثب ألسنة النيران من فوهة التنور، ويسفع وهجها وجه الارملة المحدر المتكرش وعينيها العشواوين فتنحدر ادمعهما وترعش اجفانها المقروحة الحمراء رعشات سريعة متصلة، وهي ما تنفك تنكت النار بمرود طويل وتودع التنور اقراص العجين بيد لوثها غبار الشوك وآثار الدمن ونثار القش، وتمسح باليد الاخرى عينيها الدامعتين ابداً.

ويتأوه عناد، ويرمق العجوز بنظرة غاضبة، ويفكر في الاجهاز عليها، وتطرب هذه الفكرة قلبه المنهوك: ولكنها ما تزال جالسة على مقربة منه، تحرك لسانها بابذأ السباب، وما تزال تساقط الالفاظ كالحمم على رأسه الاشيب، وما يزال صامتاً ساكناً يمتص آخر انفاس لفافته، ثم يقذف بها الى الارض بشدة ويدوسها بقدمه، فتفجأ الحركة دجاجة آمنة تخطر في الكوخ، فتنفر راكضة مرهوبة، ثم ما تلبث ان تعود مستريبة مترددة، وفي عينيها نظرة تساؤل، لتسرق قطعة من البقايا الممرغة بالتراب.

وتهرب بها بعيداً الى حيث تستطيع ان تشرحها آمنة، بمنقارها الحاد الدقيق. ويلف عناد لفافة ثانية، وتدور الافكار المحمومة في رأسه دوراناً سريعاً، وتشرع الارملة في توزيع الوجبة الاخيرة من الخبز على زبائنها، وتتوهم العجوز ان العامل الكهل قد غادر الكوخ؛ فتسكت حانقة، وتتململ في مكانها، وترد الذباب عن عينيها المظلمتين. ويعوي كلب في الخارج، فتصيح به صيحة منكرة، وتنهره بابشع السباب. ويزحف الظلام على الكوخ، ويشمله بردائه الاسود الكثيف، ويرين سكون مفاجىء يخلفه ضوضاء الزبائن، وتومض في الظلام الساكن شعلة اللفافة بيد العامل الكهل وتهرع الارملة اليه بعد لأي، تمسح عرقها بذيل ثوبها وتقدم له رغيفاً ساخناً:

— خذ عيني! هل تأخرت عليك طويلاً؟

— آه، لا، ابداً .. ولكن امك ضايقتني كثيراً.

— وهل تهمك اقوال هذه الحمقاء؟

فتصيح العجوز: انا يا فاجرة، انا الحمقاء؟

وتتفجر غضباً، ويتحرك لسانها ثانية ، فيضج الكوخ بالسباب. ويضيق بالارملة وصاحبها ، فيغادراه الى الطريق ، وفي الطريق يقول عناد متحسراً : — كنت اريد ان اذهب .. ولكن ..

— تذهب ، ولم نرك بعد ..

— لعلك لا تريني بعد هذا المساء يا نشمية !

— اوه ، قل غير هذا ..

— لا ادري والله ما اقول . لقد عجزت .

— عجزت ، وانت كالسبع ..

— نعم ، عجزت يا نشمية ، والسبع اذا شاب غلبته بنات آوى . انا الآن لا احتمل الحبس يوماً واحداً .

— الحبس ؟ بعيداً عنك ، مالك والحبس . انت قاتل ، انت سارق ! — لا والكعبة ، لم اقتل ولم اسرق. ولكن دين علي الحمود قتلني .. — اوه ، هذا يهمك وانا موجودة .

— فضلك علي كبير يا نشمية انا لا ادري كيف اوفيك انت ايضاً. — آه لا تفتكر بهذا ابداً. انت وانا لا فرق بيننا.

— ما لك مثيلة في الدنيا يا نشمية .. اي والله مالك مثيلة. وتغض الارملة حياء ، وتمسح عينيها الدامعتين ، ثم تسأله بصوت خافت اجش : — كم يبلغ دين علي الحمود ؟

— سبعة دنانير ! — انتظرني ..

وتدخل الى الكوخ متلصصة ، وعلى الضوء المتسرب من مصابيح الشارع ، تتناول من حجر غائر في الجدار صرة متسخة مغبرة ، وتعد سبعة دنانير ، ثم تعيد الصرة الى موضعها من الجدار تتعانق فيها بضعة دراهم وبضعة خواتم فضية ، وتسمع العجوز رنينها الخافت، فيجن جنونها وتضطرب في مكانها اضطراباً مروعاً :

— اين ذاهبة بهذه الفلوس يا ابنة الكلب؟ الى عشيقك القواد. اما يستحي هذا المقامر الاجلف اذ يستعطي من حرمة ارملة، اما يكتفي؟

وتصيح نشمية : — صه ، اخرسي . الفلوس فلوسي ، وانا اتصرف بها كما اريد .ولا تسكت العجوز وقد تحرك لسانها للمرة الثالثة ، فيضج الكوخ ثالثة بالوان من السباب الــذي، وتخرج الارملة متكلفة الابتسام ، ويودعها عناد بأرق ما يستطيع ان يعالجه من كلام ، ويتولى عنها وفي قلبه المكدود ينبوع من السرور ، وتشيعه بعينين دامعتين ، وتقتعد عتبة الباب ، وهو يبتعد عنها رويداً رويداً يلفه الظلام .

وتزمجر العجوز حانقة : هل تظنين هذا الكلب يتزوجك ؟ بذلت له كل ما تملكين، وهو يبذر حالك ومالك في القمار لو كان يريد الاقتران بك لفعل ذلك منذ سنين، ولكنك مجنونة حمقاء .

فتصرخ الارملة : —اسكتي ! ويصرخ صوت يائس في اعماقها : « لو اراد روحي ، لقدمتها له » وتنخرط في بكاء صامت شديد وتنحدر ادمعها بين الاخاديد التي احتفرتها خمس واربعون سنة مثقلة بالآلام .. وتهب على وجهها الندي نسمة بارده من لهاث الخريف الشائخ المحتضر ...

بغداد — عبد الملك نوري

اصمتي ...

لساري Surrey

●

ايه قيثارتي .. استيقظي واعزفي
آخر ما ابدد وتبددين من عناء ؛
انجزي لي الآن ما فيه شرعت
فاذا ما تم ذاك النشيد وانقضى
اصمتي بعد ذاك يا قيثارتي لاني فنيت.

ان لم تصغ لنا الآذان فلن نسمع
الا كما ينصت الميت في القبر
فكالقبر الاصم هكذا قلب حبيبتي
لا ينسل اليه نشيد قلبي ..
وهل يجوز لنا بعد ذاك تنهد وانين ؟
كلا ، كلا ، يا قيثارتي فاني قد مضيت.

اعزفي لي الآن يا قيثارتي آخر زفراتي
فهذا آخر ما تبذلينه من جهد
لقد انقضى ما فيه شرعت
هذا نشيدك الاخير فاذا ما انشدته
اصمتي يا قيثارتي ، اصمتي لاني قد قضيت .

صبيرا — ترجمة : حفيد الامام

سبكوفيا

مصور عبقري

بقلم المعلم اميل شوب - كوخ   ترجمة : نبيه صفر

●

تبدل الرسم تبدلا مطرداً في سير تاريخ الفن . واذا نحن اقتصرنا على التطور الغربي منذ نهضة اڤينيون وجدنا ان كبار الرسامين لم يكونوا سوى مصغرين يتوخون المشابهة على الاخص . عندما كان يراد في بلاط البرتغال ، مثلاً ، او فرنسا او بورغونيا ، ترويج احدى الاميرات كان يطلب الى مثل جان فان ايك ان يأخذ رسمها وكان هذا الرسم يعرض على امراء اوربا الراغبين في الزواج . وفجأة سار الرسم باتجاه التصوير الخلقي واضحى يطلب من المصور ان يبين نفسية مثاله خاصة : وظلت هذه الطريقة فضل الفن الاكبر حتى اكتشاف التصوير الشمسي الذي حذف من الفن توخي المشابهة ، واذ ذاك اضحي يطلب من الرسم ان يكون ، في ذات الوقت ، مشابهة خلقية واثراً فنياً ذاتياً بواسطة النهج والتلوين والقيم التصويرية الخ ... كان بعض الهولنديين ، كرمبران وفرانز هالس قد مهدوا الطريق الى الاتجاه . يتضح لنا التطور العصري جلياً من مجرد المقابلة بين رسم لرمبران وبين آخر لفان كوغ او لتولوز — لوتريك . لقد ظل المثال عند رمبران اهم ما في الاثر الفني ولكنه لم يبق عند الاخيرين الا واسطة لابداء تصوير جميل قليل العلاقة بنفسية المثال . يوجد في القيم التصويرية او الرمية شيء آخر سوى ما تمثله هذه القيم وهو قوة ايحائية قبل كل شيء ، وهذه القوة الايحائية هي التي يحاول الفن العصري ان يستخدمها . لا شك في ان ميكال انجلو وليونار دي فينشي وبيزا نيللو لم يجهلوا شيئاً من هذه القوة بل ربما افاد احدهم منها ، كرودين مثلاً ، افادة عظمى ، ان لم تكن كلية . لقد حاول منذ ٣٥ سنة موديغلياني ، هذا الرجل العبقري ، وبيكاسو ، هذا الحاذق الموهوب هبة شاملة ، ان يضعا المبدأ التالي وهو انه لا يجب الاستفادة إلا من قوة ايحاء العناصر التصويرية والرمية التي يلهمها المثال وهذا المبدأ وجه الرسم الى مثل رقص للفنان سان — غي حيث نرى حيناً شيئاً من العبقرية وحيناً شيئاً من الجنون واحياناً مزيجاً من الاثنين . ان العبقريين هم راؤون ، وسيكوفيا الذي يمثل ابلغ تمثيل المدرسة المذكورة آنفاً يعد في مصاف الفنانين العبقريين . ان الرجل العبقري هو راء قبل كل شيء ولكل من العبقريين رؤياه العبقرية الخاصة واصدقهم دلالة على ذلك هو فان دونجن الذي يلذ له ان يجدد فن تصويره لمخاطبه بايقافه على ما يحوي فنه هذا من رؤيا للحياة بتفصيلها وعمقها . على حائط حزن الحياة وحتى على زوالات العدم الرمادية وفي لوحات تتجدد بلا انقطاع بينما يغمرها ضباب هذا الحزن وهذا العدم يرسم المصور صفحات من تلك الرؤى البراقة ، الجذابة ، التي تبدو كازهار متعددة الالوان نابتة على ضفاف نهر ما وراء الطبيعة او كانوار اصطناعية تلمع في الليل المدلهم المحيط بنا والذي نحاول لمسه بحواسنا وننفذ اليه بفكرنا ، وبتعبير آخر ، يرسم دونجن على نسيج اضطراباتنا وهمومنا انواعاً من الرقص وانواعاً من تجارب القديس انطونيوس

بثوبه الأسود، فهو يقلد الحياة ذاتها ويسير بنا من المصانع والمكاتب الى الاوبرا الراقصة والى مسارح الألعاب البهلوانية ، الخ . وهذا نهج عصري بودليري . من الواضح ان فان دونجن هو فنان مفكر كما يشهد له بذلك تصويره . ليست جميع تلك الخطوط الجميلة التي ترسمها ريشته هي من وحي المثال فقط . ان اجمالات فان دونجن العاصفة وشتى انواره التي يصبها على اغراء الجسم واللحاظ والرقص والسكون تستقر في البعض من خيرة لوحاته التي تعد من أجمل ما

•

دراسة

عرفه العصر كلوحتيه اللتين يرسم عليهما عرياً ذا جرأة مدهشة واللتين لا تزالان حيتين في ذاكرتنا منذ سنه ١٩٠٨ .

نذكر هنا بفان دونجن لان سيكوفيا يلجأ الى طريقته ذاتها ولكن لكي يحقق عكس ما يحققه ذاك . هوذا رسم عري يمثل سيكوفيا به امرأة كهلة ، شنعاء ، وقد زاد المصور ، بقصدمنه ، في شناعتها . ان هذه الشناعة المبالغ فيها تضخم ، لا الواقعية بل قبحاً خيالياً ليس في المثال . اذا لم تكن الحياة ، ولا الفن، سوى حلم كما هو الجمال فان الشناعة هي ايضاً حلم حتى تجملها الموهبة التي ترسمها . لننظر مثلاً الى هذه البقرات ، المضطجعة منها والواقفة، كان بودين ، وهو البارع بتصوير البقر والنساء الظريفات، يقول : «ليس هؤلاء . ولا أولئك سوى نقط بيضاء في الحقول» ، اما هنا فلا مراعي بل حيوانات ظاهرة بكل ما لها من حجم وقلة ظرافة وبكل مايوحيه الحجم والرعونة . هنا ايضاً يوجد ما يمت الى الحلم بصلة . انها طبائع مائتة . لقد صور فان كوغ احذية في قلب النور ، على حضيض يطفح بالشمس « احذية تحيط بها النفس » كما كان سيزان يقول . يعرض سيكوفيا امام اعجابنا خفين على حضيض من خشب غير مصقول كحضيض الفنادق الاسبانية ونصف رداء مفوف معلق على مسمار خارج الاطار لقطع الافق . لا قيمة لهذه التفاهة العاطلة الا بدقة الرسم العجيبة وبتوزيع الظلال توزيعاً متوازياً . ونرى ، في جهة ما ، بعض الالبسة النسائية ملقاة على كرسي اعرج ، وفي جهة اخرى كيسين من ورق مملوئين سكراً او حبوباً وموضوعين على منضدة مغطاة بنسيج غليظ . لا شك في ان هذا يقتضيه موهبة عجيبة لافراغ الجمال على مواضيع كهذه معراة من كل روحية، ولكن اذا كان رجال عبقريون مثل فان كوغ قد تلهوا بمثل هذا التناقض فلا يجمل بنا ان نعمم مقدرتهم الخارقة .



بدأنا بهذا التمهيد لكي نزيد الشعور بعبقرية سيكوفيا غير المشكوك فيها ، لقد وقف على الرسم مقدرته الخلاقة بدقة مدهشة . هوذا طرف منضدة مستديرة ، لماعة ، بل ربما كان طرف بيانو تغطى بعضه اما بدفتر عظيم من ورق واما بغطاء ابيض مربع الطي .

الحضيض ابيض وفي الطرف الاقصى حائط ابيض . الى اليمين ذيل سجف يتدلى من كرسي ، او من دكة غير منظورة . على القسم اللماع من المنضدة ، او البيانو ، اناء لا صيغة له يعكسه لمعان الرياش وتتفتح فيه ازهار دوار الشمس . رسمت هذه الازهار على طريقة دوار الشمس لفان كوغ (اللوفر — مجموعة كوموندو) ، اعني بفن مدهش ولغاية تجميلية بالنظر الى الدقة والبلاغة . كلما تكنه الطبيعة المدروسة من قوة تجميلية ممكنة عرف سيكوفيا كيف يظهره للنور ويفيد منه بواسطة الالوان والظلال والانوار . ان الاعتراف له بذلك ليس بالمديح القليل ، يجب ان ننظر الى سيكوفيا كمصور قبل كل شيء ، واذا كنا درسنا فيه المخطط اولا ثم فنان لوحات الازهار والطبائع المائتة فما ذاك الا لنتمكن اكثر فاكثر من ايضاح عبقرية المصور .

ان سيكوفيا مصور باعظم ما تحمل الكلمة من معنى وليس هو بالمتلاعب بشكل الوجه البشري لتأثير مقصود بل الفنان الذي يستمد من مثاله الوسائل الضرورية التي تمكنه من ابداع سلسلة امثلة اولى من سخرية والم ورؤى جنونية وعذوبة واختطاف . هذه صورة اخاذة للمعلم بوهنبلوست . لا شك في انها صورة راء وها



متشرد

•

هي صورة لهنري هوبجر . لننظر اليه منكمشاً على ذاته ، مستغرقاً في حلمه العنيف بوجه لاندري اية عاصفة داخلية تعصف به وتلقي عليه غشاء من اليأس والاشمئزاز . وها هي صورة لمتشرد يرتدي ثياب رجل انكليزي في سفر ويعرض امامنا ملامح يأس عميق وكآبة وبائية وذهول مغبون . وهذه صورة سيدة فتية تبتسم بعذوبة تحت قبعة عظيمة من الريش وتغمض عينيها خلف نقابها رافعة رأسها بشهوة . غير ان هذا الوجه الظريف يعيبه فم ضخم ، ابيض الاسنان ، قد تلاعب به الفنان عن قصد ليوحي فكرة لا ندري ايةهستيريا شهوانية فيها . تعرض جميع هذه الصور في اطار فني من الاشكال والالوان والمفاجآت تزيد في الايحاء وتحملنا الى عالم مختطف وجو غامر ، مدهش ، مغر ومضل يشوبه شيء من علة ما فوق الواقعية ينزع فيه الفنان الى التشاؤم حالما يسترسل في احلامه ولا يرى في الحياة سوى مظاهر فحسب . ان الحياة قصيدة منسجمة كالشخصية الانسانية ، فاذا كان الانسجام يفترض التنويع فهو يفضي الى السأم حالما ينحصر بالحلم . غير ان للفنان الحق بان يقول مع الشاعر . « انني ما يحلو لي ان اكون » ولا يستطيع اي ناقد ان يلومه على نزعاته الخاصة . من الواضح ان امثلة صور سيكوفيا هي مظاهر لشعوره الخاص ، وهو شعور ينطوي على شيء من الوعورة

•

حركة « الميوزك هول »



لا يستمد سيكوفيا اغراء آثاره الفنية من وحي امثلته بـل من وسائله الفنية ، فهو ، كما قلنا سابقاً ، مخطط ماهر يتلاعب بسهولة فائقة بكل ما يتيح له تسطير خطوطه على الورق ، وهو يحذف الخط الحي ولا يهمل مفعول الخط الشاذ الذي يخلق الاحساسات الخارقة ، وهذا ما يمكنه ، عندما يهمل في صوره الخط المنمق، من خلق حياة حادة بوسائل مرنة، نادرة، اي بالتخطيط المثلث والحفري والنحتي . لا شيء اعمق رسوخاً على اسس حفرية من هذه الصورة لهنري هونجر ، التي المعنا اليها سابقاً ، ولم يضع احد قط المطابقات الايحائية التي تنتج عن الاشكال المرسخة بدقة وقوة ولم يجعلها في متناول من يمكنهم ان يفهموا ويتعجبوا باحسن مما وضعها وجعلها سيكوفيا . لم يبق هنا مشابهة بحصر المعنى بل شخص باطني خلقه الفنان من مثال عرض له فكشف لنا عن نفسيته بصورة رائعة . لا يمكننا ان نشبه هذه الوسائل الغريبة، الفخمة، الا بوسائل بابلو بيكاسو مع هذا الفرق وهو ان ما يبدو عند بيكاسو مبهماً ابهاماً مقصوداً ودافعاً الى الحيرة يظهر عند سيكوفيا كشيء بديهي وطبيعي . واذا شئنا الاسترسال في المقابلة قلنا ان بيكاسو يخضع لرؤيا حياة ألفها هو ذاته واشكلها للذته العقلية المشبوهة ، ويخضع سيكوفيا

المرأة المغامرة

لحالة نفسية هي حالته الطبيعية الخاصة ، فهو نموذج الفنان المحصور ضمن رؤياه وفي حلمه والذي يخلق الجمال تحت تأثير انجذابات متتابعة تدفعه اليها عناصر خارجية لكنه يوحدها وفقاً للحالة النفسية التي ذكرناها ، مع مراعاة اشكالها الاصلية ما امكن الامر. هذا هو التفسير . ان صوره العنيفة، حيث تهب ريح جنونية، لا يمكنها ان تكون هازلة بل ربما انبعث منها تأثير اسف وخيبة لولا حـدة الحياة التي يخلقها ولولا سحر الوانه .

لقد تحررت مدرسة التصوير الاسبانية تحرراً نهائياً من ربقة المضادات التي تتعارض في مزيج من العتمة والضياء. حيث استعبدها زمناً طويلاً تقليد غريكو وريبيرا . هذا هو بلا شك البصر الاكبر، النيّر ، العنيف الالوان الذي احرزه غويا والذي انتهى ببسط كل التأثير المنتظر حتى افاد منه زولا نوغا الافادة كلها ومن هنا اخذت ضروب الالوان الساحرة تغني على الملاون في بلاد تحتوي على اشد الالوان شاعرية وموسيقى. لم يحرم سيكوفيا نفسه من هذا الغناء فاذا هو طلب كل ما للالوان من تأثير فانه لم يحجم عن ان يطلب منها ايضاً قوة الفتون والاحساس الحي حتى خلق بواسطتها اجواء ولكنه لم يفد شيئاً من تفاصيل المحيط الثانوية التي كان يعمد الى حذفها، ان المحيط في صور سيكوفيا هو اللون ذاته الذي كان يجيد استخدامه بمهارة وعنف فيوزع التلون لا تبعاً للانارة بل اظهاراً للتفـاصيل الاساسية . لا شك في خطر هذه الطريقة التي يشجبهـا المعلمون الكلاسيكيون ، غير انه عندما يسار عليها بالمهارة الـتي يملك سيكوفيا ناصيتها يجب على الناقدين، مهما علا سلطانهم ، ان يلزموا الصمت . لنجرأ على القول بانه يوجد « غرائز واثقة من نفسها» تفرض ذاتها فرضاً عند ما تبلغ الى مثل هذا النجاح المدهش وذلك بالرغم من مخالفتها للقواعد المتبعة . هوذا صنيعه الفني الذي يرينا قبل كل شيء. مصوراً صاغ نفسه بنفسه كما تؤكده لنا شخصيته المتفردة.

في طريقة ما فوق الواقعية يبدو فعل الغريزة هائلاً ويجب على الفنان قبل كل شيء. تجنب هذا الخطر الذي حمى سيكوفيا منه ذوقه السليم وتعادل فيضان الحياة التي يخلقها . ان الموقف الذي يعمد الى التخلي عن كل ما هو ثانوي والى حذف ما يمكن حذفه ليس بالنظر الى الموضوع بل الى الايحاء الذي يمثله ، ان هذا الموقف قد وجه سيكوفيا في الطريق التي تسير من المتشابك الى البسيط والتي سار عليها امثال لوتريك وفان كوغ ورينوار وغوكن ، وهذا ما يتيح لنا التنبؤ عن فناننا انه سوف يومي، تباعاً ، بكل القشور ، على غرار اولئك المعلمين ، حتى يبلغ الى هذا الصفاء الشكلي والعاطفي



هرب العائلة المقدسة الى مصر

●

الذي يبدو فقراً في نظر العامة بينما هو في الحقيقة غنى لا يعادله غنى.
هكذا كان تطور غريكو ولكن بشيء من الصوفية التي لا يخشى منها، لحسن الحظ، على سيكوفيا، وهكذا نفسر كبار معلمي الفن. ان ما يميز فنهم هو هذه البساطة القصوى في الوسائل المحققة التي لم يبلغوا اليها الا بعد سنين طويلة من ممارسة صناعتهم حتى اضحت من السهل الممتنع على سواهم.

من السذاجة ان نتكهن لتطور فنان ما خصوصاً اذا كان بغنى سيكوفيا، نحن لا نجهل ذلك، ولكن تكهننا، حتى ولو اخطأ، يظل اجمل ثناء على مواهب الفنان الكبير الذي نحن بصدده. يعيب طريقة ما فوق الواقعية جمودها، فحلم الفنان، اي «مناجاته الباطنية» كما كان جيمس جويس يقول، ليس له سوى وتر واحد. غير ان سيكوفيا، بالنظر الى قوة وغنى الوسائل الفنية التي يملك ناصيتها، لهو جدير بان يُعد لنا، في تطوره، مفاجآت باهرة.

نبيه صفر

من ايام الرعب

زيطه صانع العاهات

بقلم يوسف الشاروني

ليسانسيه في الآداب من جامعة فؤاد الاول

مهداة ايضاً الى الاستاذ نجيب محفوظ مؤلف زقاق المدق

صنع يصنع فهو صانع، وصنع المصنع السيارات، وصنعت المصانع القنابل فهي صناعة وهي مصنوعة، وعم كامل يصنع البسبوسة، وحسنية الفرانة وزوجها جعدة يصنعان الخبز، وكانت الست ام حميدة الخاطبة تصنع العائلات، وصنع المسيح المعجزات، وصنع زيطه العاهات.

وتوفي زيطه في السجن منذ ايام، ورأيت ان اتقدم بالتماس الى الجهات المختصة مطالباً بأن يصنعوا له تمثالاً ويقيموه على رأس زقاق المدق، راجياً ان يفصل حضرات المختصين كل الفصل بين ذلك العمل الاضافي الذي ادى به الى السجن واخذ جزاءه عنه، وبين هذا العمل البطولي الذي وقف زيطه حياته عليه، والفهم الرائع لمعنى العاهة الذي كان يدركه بحدسه وعبقريته، وكيف استطاع وحده ان يواجه مدينة صاخبة ضاجة وان يلبي فيها باخلاص حاجة ملحة وضرورية.

فقد قبض في ليل احد الايام — ومنذ سنتين — على زيطه وصديقه الملقب بالدكتور بوش لاتهامهما بسرقه جثث الاموات، وشاع في الزقاق انهما كانا يسرقان طقم الاسنان الذهبي من جثة المرحوم عبد الحميد الطابي الذي كان بائعاً للدقيق بالمبيضة، فلما سمعت بذلك الست سنية عفيفي، وهي جالسة تشرب القهوة التي صنعتها لنفسها بنفسها، رمت بطقم اسنانها الذهبي الذي سبق ان صنعه لها الدكتور بوش وقام بتركيبه لها، ثم صرخت وولولت حتى اغمي عليها. ومنذ ذلك الحين اختفى زيطه وصديقه من حياة الزقاق وانقطع كل منهما عن صناعته، ومع ذلك فلم تكن سرقة جثث الاموات هي العمل الرئيسي لزيطه، بل هو عمل اضافي اضطر اخيراً ان يقوم به الى جانب الصناعة التي وقف عليها حياته.

ولقد ولد زيطه لابوين يصطنعان الشحاذة، وكان ذلك اول العلامات الدالة على تأهبه للصناعة التي تفرغ لها فيما بعد. وكان مجيئه — كمجيء اي صانع عظيم — بعد انتظار وترقب وحاجة. فقد كان والداه في حاجة الى ابن تحمله الام اثناء تجوالهـا لتثير العطف وتستدر الاحسان وحسن الصنيع، وقد انتظرا طويلاحتى اضطرا ان يكتريا طفلاً، فما اقبل زيطه الى هذا العالم، حتى وفر عليهما ثمن الاكتراء، فكان فرحة عظيمة لهما، كما كان خلاصاً للكثيرين فيما بعد.

وفي التراب نشأ زيطه وفي التراب عاش، كانت امه تتركه يزحف بحرية يرعى بين القاذورات والحشرات، ويتذوق الوحل ويختبر مواطيء الاقدام. كانت نفايات البقدونس وقشر الطماطم والهوام السابحة في المياه الراكدة هي عالمه الجمالي المنقطع النظير. وكان يحس في التصاقه بالطين لذة يتصنع الآخرون الجزع منها والتقزز من مواجهتها. وقد هيأت له هذه القذارة فرصة الابتعاد عن الناس فيما بعد، متفرغاً لتأملاته ومتفكراً فيما ألقي عليه من مهام، فقد كانت رائحته الكريهة تنفيه عن النـاس، وكانت قذارته تجنبه فضولهم وتحديقهم فيه، لا يصانعونه ولا يصانعهم، وهم متحصنون بانفسهم من انفسهم في روائحهم العطرية واناقتهم المصطنعة، اذا فكروا يائسين فكروا في الانتحار بغير ان يجرأوا عليه، لا يدركون المعنى المخلص للعاهة ولا القيمة المطهرة للتشويه.



ولسنا نعرف كثيراً عن حياته ايام صباه فهذا الجزء من تاريخه غامض ومجهول اكثره لدينا، وكل ما نعرفه مما بلغنا من اخبار انه كان يعمل في «سرك» متجول حيث تدرب على فن « الماكيياج » واصبحت له فيه يد صناع. وحيث يمكننا ان نستنتج انه لا بد ان يكون قد تعرف بذلك على جوانب كثيرة وصناعات متعددة في الحياة. وهكذا اعدته ولادته وطفولته وايام صباه للصناعة التي القي على عاتقه ان يأخذ بها فيما بعد..

في هذه الاثناء كان زعماء العالم يصنعون الحقد والكره في القلوب ويصنعون القنابل والطائرات في المصانع، ثم مزجوا الجميع معاً وصنعوا منه حريقاً عالمياً كبيراً. وفي الشوارع الفخمة للمدينة كانت صناعة التجميل قد انتشرت، تصنع السمنة للنحاف والنحافة للسمان وتزيل الشعر وحب الشباب، وتبرز الارداف وتكور الاثداء، وانتشرت الصالونات تسوي الاذن المنكمشة وتصغر المفرطحة، وتعدل الانف المنحني وتدقق الشفتين الغليظتين، وتعيد الصبا الى « شمطاوات » الطبقة « الراقية » وفي الغرب كانت قد ظهرت مدارس تعبر عن المشوه، وزعماؤها يبشرون الدعوة فيلبيها تلاميذ مخلصون يبرزون في الجامد الميت قرف الانسانية وفزعها.

ولقد حدث ذات صباح ان نشرت جميع الجرائد اخباراً عريضة تلقتها بالبرق عن طفلين ولدا احدهما بالهند والآخر باستراليا، وكان الاول بلا ذراعين ولا قدمين وتوفي بعد دقائق من ولادته، اما الآخر فعليه شعر ماعز وله ذيل قصير وقد ولد ميتاً. فما اقبل مساء ذلك اليوم حتى كان زيطه قد اشرف على زقاق المدق، وقد اعد العدة لصنعته، فحمل معه ادواته ومهاته او اختار الخرابة القائمة امام الفرن مكاناً يمارس منه عمله، لا يفهم التشويه مجرد معنى جمالي في الجامد او الميت بل معنى نابض حي، سيأتيه من اجله المجهولون والمخفقون متسللين من مشارق المدينة ومغاربها ثم يغادرونه رحلا وحواريين له في مختلف الاحياء والزوايا.

وفي الطرق والميادين، وفي الموالد والاعياد، وقرب المساجد والكنائس، وفي المقاهي والمقابر، كان المتصدقون والمحسنون يطالبون سائليهم بما يؤهلهم للشفقة والاحسان، وكانوا ينظرون شزراً — كما ينظر اصحاب الشركات ومديرو المصانع الى طالب لا مؤهل له — كلما وجدوا واحداً منهم صحيح الجسم معافى، في عينيه النور، وفي لسانه الذلاقة، وفي جسده الامتلاء. كانوا اشخاصاً عمليين، لا يريدون ان ينفقوا نقودهم بلا عاهات تستدرهم ولا ان يبعثروها على غير مستحقيها. كانوا يريدون عمياً وعرجاً وبلهاء كي يغدقوا عليهم ما يغدقونه على عشيقاتهم، فهم يتطلبون العاهة فيهم تطلبهم الذلة والحاجة في عشيقاتهم.

وهكذا اخذ يفد على زيطه اصدقاؤه الجدد وصنائعه في المستقبل. انهم منتشرون الآن في كل مكان، في الازقة والحارات، وفي طرقات المدينة الواسعة وميادينها، معترفون له بالفضل والثناء. وكل منهم يذكر جيداً هذه اللحظة من حياته التي أقبل فيها على زيطه، وهو عاطل لا صناعة له، يقوده في جنح الليل صديق أو دليل، فتداعبه هذه الرائحة الرطبة التي يواجهه بها الزقاق، ثم الاصوات والاضواء المتسربة من اعلى احد المنازل حيث تجتمع غرزة المعلم كرشه صاحب المقهى، وفوهة الفرن المتقدة كأنها شهوة اومقت، ثم الخرابة المعتمة الرهيبة كأنها كهف ساحر او جني، والرائحة الكريهة المنبعثة من ارجاء المكان كأنها احتجاج أموات او معذبين، وضوء المصباح البترولي المرتعش يحيل الظلال الى اشباح ورموز، والادوات الموضوعة على الرف ما بين زجاجات وآلات وضمادات، وزيطه مختف مع العتمة في جلبابه الاسود القذر لا يُدل عليه الا عينان تبرقان، وصوت ساخر طاغ، ونار خافتة تنبعث من بقايا سيجارة ما بين يده وفمه...

كانوا يأتونه صحاحاً، وكانت صحتهم تقف عثرة في سبيل حياتهم كما تقف أخلاقيات شاب يافع، كانوا يمدون ايديهم فيردها الناس لهم فارغة، وكانوا يطالبون بحقهم في الحياة فيأباه عليهم الآخرون، فيقبلون على زيطه ثم يغادرونه « عمياناً وكسحاناً وأحداباً وقسعاناً ومبتوري الاذرع او الارجل » وبذلك يهبهم حقهم في الحياة، وما يبرر لهم اصطناع صناعتهم.

وهكذا كان الليل هو المجال الذي يتحرك فيه زيطه، كان الليل هو مملكته التي يسيطر على ما فيها من حركات وهمسات ورغبات، وكان صنع العاهة يربط صاحبها به كما تربط المعجزة المريض بمنقذه. فما ينتصف الليل وتسري الهدأة فيه حتى يبدأ زيطه عمله، فيجول في حي الحسين العامر ماراً برعيته من الكتل البشرية المتكورة في هذه الزاوية او على ذاك الطوار كأنها بقايا هزيمة، فيلتقي في ميدان الحسين بكسيح الى جانبه ما يشبه صندوقاً ذا عجلات اربع، فيركله ثم يسأله عن حال كساحه، ويستوي الرجل واقفاً على قدميه ثم يعطيه مليماً هو يوميته، فاذا انعطف صوب الباب الاخضر التقى بأعمى ذي ذراع مبتورة تعود ان يبرزها للمارين كأنها بقايا شمع جمد، فيوقظه ليأخذ منه المليم، فاذا بلغ القبو القديم التقى بأعمى آخر قد انتثرت على صدره وفخذيه قروح

تعوّدان يعرضها على المارين كانها تقيؤ.. وهو يغط الآن في نومه هادئاً مستريحاً ، فيركله ويسأله عن قروحه، فيفتح «الاعمى» عينيه ويعطيه المليم ؛ وعند الجامع الكبير يلتقي بالاحدب الذي تعود ان يسب الناس ويشتمهم اذا ردوه خائبين كأنما لم يقنعهم الفرق بين حدبه واستواء قاماتهم ، وفي ذلك الوقت يكون اكثر تكوراً واكثر سواداً واكثر هدوءاً وقد انكفأ على وجهه وعقد يديه كأنما يصلي ، فما يحس بالخطوات المقتربة حتى يرفع يده بالمليم فيأخذه منه زيطه في صمت ويمضي ، ثم يدور حول المسجد ماراً بصنائعه واحداً بعد الآخر ، ثم يبتاع رغيفاً وتبغاً وجبناً او حلاوة ثم يعود الى خرابته حيث يستانف دوراً آخر من ادوار عمله .

وكان شأنه — شأن كل صانع عظيم يرضي حاجة خاصة في الوقت الذي يرضي فيه حاجة عامة . فهو يتعيش ويصنع لغيره سبل العيش . فلسنا نزعم انه اختار هذا النوع من الصناعة اشفاقاً على الانسانية وبراً بها، بل لقد كان يرضي باختياره ذاك حاجة دفينة الى القسوة في مجتمع قسا عليه حتى لتذوق التراب ! وكان يرضي كذلك حاجة في الآخرين يفيدونها مما تضطرم به نفسه من رغبة . كان للرجل عذاباته ووحدته ووحشته ، فكان منظر الدم يملأه فرحاً مجنوناً ، وكان سماعه تأوهات الرجل الذي يهرس له ذراعه او يبتر له رجله يثير فيه لذة حيوانية هائلة ، ولكن فلنذكره دائماً — باعتراف واجلال بالفن — انه ما كان يضع لذته فوق المصلحة العامة .

فقد حدث في احد الايام ان دخل مزبلته بعد رحلته الليلية ، فوجد عملاقاً قوياً بانتظاره ، وصفه زيطه انه « بغل بلا زيادة ولا نقصان » وكان الرجل يقول في خور « حظي اسود وعقلي وسخ » وادرك زيطه ان صحة هذا « البغل » مثار للحنق وعقبة كأداء في سبيل حياته ، ولكنه كظم شوقه الى تهشيم رأسه وتقطيع لحمه ، واكتفى بان يعلمه فن العته — وان لم ينقصه منه شيء . كما قال صانع العاهات — ويحفظه بعض مدائح الرسول . كما ادرك ذات مرة — وهو يبصق على الارض ويمسح شفتيه بكم جلبابه الاسود امام متسول مهيب الطلعة — ان العاهة قد تكون وقاراً به يستطيع الشخص ان يحصل على وجوده في المجتمع ، كما تكون الذراع المقطوعة وملاحة البغي وشهادة الطالب ونفاق السياسي وكما تكون الالقاب والثروات .

وكان لزيطه احلامه البهيمية مثلما لي ولكم . وكانت احلامه تتركز حول حسنية الفرانة صاحبة الخرابة التي يستأجرها منها ، والتي كانت تصنع الخبز . وكانت سيدة مكتنزة ذات لحم كثير وبنيان عملاقي ، يتمنى زيطه لو تحتاج اليه يوماً

كما يحتاج اليه الكثيرون . ولقد راودها عن نفسها اكثر من مرة – ورأسه تزدحم بأخيلة محمومة – فما كان يلقى منها الا القسوة والزجر . ولم تكن حسنية في حاجة الى صانع للعاهات يشوه عليها حياتها الزوجية ، لانه كان لها في هذه الحياة ما يغنيها عن معونته . نهي ما تنفك تضرب زوجها جعده كلما حرق رغيفاً او سرق آخر ، وهو يستلذ قسوتها وهي تستلذ بكاءه وصراخه ، فلا يلبثان ان يقتربا معاً في عاطفة قوية مشبوبة – وشيئاً فشيئاً – نحو لحظة من لحظات صفائهما الخالص . فلا عجب ان استغنيا عن زيطه كما استغنى عنه بقية سكان الزقاق ، لانهما استطاعا ان يصنعا بانفسهما ما يربط حياتهما معاً ، وما يضمن لها اللذة والاستمرار . فما لبث ان قنع صانع العاهات بان يراقبهما من خلال مزبلته ، وهما مستمران في شجارهما المنتهي الى صفاء ، وهو مسترسل في الاحلام والعذابات .

ومن قبل كانت صناعة المطاحن البخارية قد نافست طواحين الهواء ، وكانت صناعة المذياع قد نافست الشاعر الذي يروي اخبار الزناتي والهلالي ، وكانت صناعة القنابل قد اخذت تنافس زيطه في صناعته ، فقد كان انتاجه فردياً وان كانت فيه مهارة الفنان وهوايته ، وكان تصنيع العاهات على نطاق الجملة . ومع ذلك فلم يكن هذا معناه بالضبط الاستغناء الكامل عن خدمات زيطه ، لان مصر لم تصب اولاً كثيراً بمثل تلك الغارة التي شهدها زيطه ذات يوم ، ولان حاجة مجتمعنا الى صناعة التشويه هي حاجة ملحة وضرورية ، بعضها تشويه محطم كالذي تصنعه لنا الحرب والغارات ، وبعضها تشويه خلاق كالذي كان يصنعه زيطه . فالشحاذ يأتيه – على حد قوله – وهو لا يساوي مليماً ، فاذا غادره فقد ساوى ثقله ذهباً . لهذا كانت لديه عقيدة راسخة لا تتزلزل – كان يقوم عليها ايمانه بصناعته – ذلك ان الناس في حاجة دائماً اليه فلا يعدم الليل ان يفرز له شخصاً من هذه الزاوية او تلك . ومع ذلك فقد اضطر اخيراً ان يقوم بعمل اضافي ، حيث يذهب مع صديقه الملقب بالدكتور بوش بين ليلة واخرى لانتزاع بضعة اسنان ذهبية او فضة من جثة هذا المرحوم او ذاك ، حتى قبض عليهما اخيراً ، وحوكم زيطه من اجل عمل لم يكرس له جهوده ، وكان مجرد مهمة عرضية في حياته .

وكنا نحن منتشرين في الموالد والافراح او جالسين نلهو في المقاهي والحانات ، فاذا تدحرج علينا اعمى او مفأفئ ، او كسيح خالجتنا ريبة في استمرار سلامتنا وساورنا قلق على اتصال طمأنينتنا وكنا ندفع عنا تلك الريبة وذاك القلق بمليم او قرش في يد سائلنا . كان يشيع في نفوسنا ادراك عام لمعنى الزمن المتقلب ، وللطمأنينة التي لا وجود لها ، ونحن اكسل من ان نحاول النفاذ الى مواطن اصدقائنا وعشيقاتنا وشحاذينا ، وكان زيطه يدرك هذا الضعف فينا فيوفر علينا ما يتطلبه ذلك من مجهود لا قبل لنا ببذله ، فكان يفرز لنا في يد مبتورة او رجل مشلولة او عته او بله آخر صورة من صور المأساة التي يمكن ان ننحدر اليها والتي نجد اسبابها ونحس اصولها في ارواحنا ومجتمعنا .

ومنذ الفين من السنين اقبل المسيح الى العالم ، ومضى ذلك الانسان الالهي يشفي المرضى والعمي والعرج فيهبهم بذلك حياة جديدة حتى سمي صانع المعجزات . ولما جاء القرن العشرون اقبل زيطه الى هذا العالم ، يصنع المرضى والعمي والعرج ليهبهم بذلك حياة جديدة ، حتى لقد سمي صانع العاهات . وقد يحدث ان يأتي اليوم الذي تنتشر فيه صوره في المعابد والمخادع ، وتباع تماثيله في الحوانيت والموالد ، وتؤلف الكتب عن اعماله وحياته ، ولهذا تدركون تواضع ما نطالب به من صنع تمثال صغير يقام له الآن على رأس زقاق المدق . كما تدركون اهمية ذلك الطلب تبجيلاً لما قام به واعترافاً بفضله على كل من صنع له صناعة ، وتمييزاً له عن غيره ممن يشيعون التخريب المحطم والتشويه الذي لا طائل وراءه فتصنع لهم تماثيل عالية ومرتفعة .

كما انصح كذلك بالاهتمام بأمر خرابته التي امضى فيها حياته لعلها تصبح ذات يوم اثراً تقصده الوفود من كل اقطار الارض . فلقد كان زيطه صانعاً ، وكانت له صنعة ، وصنيعته منتشرون اليوم في كل مكان ، فلا اقل من ان نرد اليه بعض صنيعه .

القاهرة — **يوسف الشاروني**

أعتـذار

●

كيف نُفيض الحياه ... على شعاب الكلم
وكل لفظ متـاه ... تضل فيه القدم
بل فكرة عن إله ... ماتت فصارت صنم
بغير دم، بلا حياه

اقول.. ، والقول زور ... كبصقة المصدور
تشير .. دون شعور ... الى لظىً مسعور
ومـا يُثج صدور ... زعافها المقرور
بل يشير ... بلا شعور

خطرت في الامكان ... ولفظتي موضع
اجس منه الزمان ... واعرف الموقع
وعدت م الخطران ... — يا ليت لم ارجع —
على موضع، بغير زمان

الاسمُ .. فعلٌ جمُد ... هيهات أن يجيب
واللفظ ... ومضٌ خمدْ ... يا ضيعة الرؤيا
كنفضة — اللابد — تشـابت عيّا
ولن تحيا، على الابد .

فان اكن احيـاه ... فانه حظي
يا هول هجيراه ... وقدٌ بلا قيظ
فلتشهدي يا حياه ... جنـازة اللفظ
بهـا حظي، من الحياه

١ ـ في المـقهـى

الى الصديق الاستاذ محمود الحواري احمد

●

كهذي النفضة الكبرى بلا وهم .. بلا معنى.
كهذي اليقظة الحيرى امام الاسطر الوسنى..

ارض البشر

●

لمحمود امين العالم

●

القاهرة

م

هنا ... في جلستي الجرداء ، ارعى حسها .. وهنا .
كهذا اللفظ .. ذاك اللفظ ، لا صدقاً ولا ميناً .،
ولكن طاقة رعنـاء ، تفنى ها هنا فناً ..،

كهذا الشاخص الغافي ، كهذا الذاكر الناسي ..،
كهذا .. جيت — مذ ان جئت — ارض الله والناس
فلم اسلك ، ولم املـك — على عربي وافلاسي ،
امام الله والناس — سوى نفضي واحساسي ..
بخطو في فجاج الارض اخطوه بأنفـاسي .

كهذا عشت — مذ اقبلت — لا معنى ولا مبنى .
كهذا عشت ، بل عشنا معاً ، عشنا .. اجل عشنا
معاً ، — ابناء هذي اليقظة الكبرى — .. معاً طفنا
بأرض الله والانسان ، لا صـدقاً ولا مينـاً ،
ولكن طاقة رعنـاء ، تخصب ارضهم فناً .

الى ان هالني في الارض ، من حولي وقدامي .
فراغ ساغب سأمان ، يمضغ جدب اقدامي .،
ولم اعثر ، ولم ابصر ، — على سني واعوامي ،
امام الله والناس — سوى غردي وإقتامي ،
وخطو في فجاج الارض اخطوه بأوهامي .

وكان الناس — مذ كانوا — عبيداً للذي يبنى ،
يرون الحق في الاشياء رمزاً مـا له معنى .
فرحت ادف مثل الناس ، لا صدقاً ولا مينا .،
ولكن كنت مثل النـاس استقني الذي يقنى .
ارى الاشياء اشياء ، وهذا الكون لي كونا .

فكنا نلعب الشطرنج — بعد العصر — في المقهى
ونعلم أنها الشطرنج — لا مبكى ولا ملهى — ،

ولكن غاية جرداء نمضي نحوها ... عنها !!
فرقتها — كهذي الارض : مقهانا — أبت كنها .،
« سزيف » يدفع الصخرة ... هل يدفعها ؟ سلها !؟

وكان الناس من حولي ، يرون محبتي أمناً ...،
أجل أمناً .. لهم ... لا لي ... لهم امناً ، ولي ضغناً
يقيء على سمـاواتي ، ويفرش بهجتي حزنا .
تراني لستُ مثل الناس — لا أحيا ولا أفنى — ،
ولكن يقظة جـرداء تفرز بينهم فنـا ؟!

ألم أفرغ الى الشطرنج بعد العصر في المقهى !!..،
فلم أرغب ، ولم أرهب ، ولم أشمت ، ولم اشهَ !!
ولكني رأيتُ الناس — تلك الاعين البله — ،
تبصبص في معـاييري كذيل الكلبة الولهى .
فرحتُ اسائل الابواب هل لي مهربٌ منهـا ؟

وكان الناس من حولي يرون توقفي جبنا ... ،
ويشتجرون، يتهجرون — لا معنى ولا مبنى — ،
ولكن ضجة حمقـاء أعيى فهمها الذهنـا
فصغت — بوحدتي ءهم وفرط ملالتي — ركناً
أجمّعُ فيه مـا يلقون ، حتى اصنع المعنى .

فقام النـاس يستبقون حول منافذ المـاء...،
ويعتركون بالكلمـات في فـحٍ واغواء .
وهمّ كبيرهم فيهم خطيبـاً : — « يا أحبائي
اليّ بزهرة للنـرد ، تكشف سر أعدائي
وتحفظ أرضنـا فينا » وضلّ القول اصغائي .

فقمت أسابق اللحظات ، أصرخ بينهم : « هونا ،
لنا أرضٌ ... أجل ارض هنا ... لكن بلا معنىً ،

سوي هذا اللهاث الحر. — لا صدقا ولا ميناً — ،
ولكن يقظة جوفاء. لم أجعل لهما وزنا .
لنا أرض مقدسة .. أجل .. لكنها .. أينا ! ؟ »

رأيت الارض—هذي الارض—لكن، لا قداساتِ،
معادلةً ، وأرقاماً ، سلبياتٍ ، غبيات ،
ندفّ بها ، فلا تاريخ يخلفنا ، ولا آتي ،
بأعمار ضريرات ، وغايات غريرات ،
نقاطاً في مهبّ الغيب تجري في المسافات . »

فصاح الناس: « قال الغيب للمجهول كن كونا ،
فكان الكون.. كان الناس » لا صدقا ولا ميناً ،
ولكن غيمة سوداء ، تخفي دوننا المعنى ،
ويمضي ظلها الممدود فينا نحو ... لا أينا !!
« الى المجهول » صاح الناس « نحو الغيب ما عشنا

خطانا في طريق الله ، ما سرنا بارض الله ،
خطايا ، لم تزل ، حتى يزلزل رجسها لقياه »
وهذا العمر ؟ .. هذي الارض؟ .. «رمز عنده معناه»
ولكني أرى عمري حياة ... آه .. محض حياه .
وأشهد في دمي الانسان ، معجزة بغير إله .

وهذي الارض !. أين الارض ؟ .. لا منها ولا منا !
أجسر عابر نطويه صوب الضفة الحسنى
تُرى ، أم غاب قضبان نقارف بينها سجنا ؟!
رأيت الارض— هذي الارض : مقهانا — بلا معنى،
سوى هذا المضي الحر ... لا صدقا ولا مينا.

فدار الناس من حولي صفوفاً ، واغتدوا حلقات.
وطافت بيننا القصبات ، طافت بيننا القصبات.
وبصّت مقلةٌ حمراء تشهد موكب اللحظات ... ،
تثاقل بيننا ، يختال عبر مخارج الكلمات ... ،

ويدفع نحونا الآفاق ، دون حماقة الخطوات .

وكان الناس من حولي ، يرون تيتظي شينا .. ،
وكنت اراه لي معنى .لهم شينا ... ولي معنى.؛
اعيش به واحياه ، ليفني ها هنا فنا .
فكان الناس يغتربون — لا صدقاً ولا ميناً — ،
ولكن غربة بلهاء ، لم تبعد بهم رُكنا !!

وهمّ كبيرهم فيهم خطيبا : « يا احبائي ؛
احس بهذه الاقدام تثقل حُمر اسرائي ،
فهيا نخلع الاقدام ، هيا .. ؛ دون ابطاء ..،
لكي نمضي .. اجل نمضي .. بلا ثقل ، بلاداء ،
ابلغت ارض اعدائي ، وابني مجد ابنائي »

فقمت اسابق الانفاس اصرخ بينهم « هونا ،
لنا ارض مقدسة .. اجل .. لكنها .. اينا ؟.
احس بسرها الفياض يكسب خطوتي وزنا ،
لنا في تربها معنى ، وسفي رياحها مبنى ،
وجودٌ من دم الانسان ، لا يبلى ولا يفنى.»

وكان الناس يغتربون صوب عوالم النسيان .
ويندفعون ، لا ارض تسير بهم ولا ازمان ،
فرحت أشاهد الاقدام ، تلقف ثقلها النيران .
وأحلم ان لي ارضاً . اجل . لكن ! بأي مكان ؟ !
لغاها : دفعة كبرى . وفيضُ حياتها : إنسان .

وعدت ليقظتي الجرداء خلف الاسطر الوسنى. ،
هنا في جلستي البلهاء ، ارعى حسها .. وهنا .
كهذا اللفظ ، ذاك اللفظ ، — لا صدقاً ولا ميناً— ،
ولكن طاقة رعناء ، تفني ها هنا فناً .
واشهد عمري الحاني يهدهد في دمي معنى ..

القاهرة محمود أمين العالم

بين الشعر والموسيقى

مهداة الى الانسة ب. وس.

بقلم نجم الدين حمودي

✰

اذا القينا نظرة سريعة على أهم الشعراء في الادب الانكليزي خاصة، والادب الاوربي عامة، منذ اقدم العصور، حتى اواخر القرن التاسع عشر، نجد ان شعرهم يكاد يخلو من اية اشارة الى موضوع الموسيقى، واذا اسعفنا الحظ وعثرنا على تلميح بهذا الخصوص فيكون ذلك بصورة مقتضبة ليست ذات اهمية. ومثل على ذلك ما ورد في القصيدة التي بعثها جون ملتن (١٦٠٨ — ١٦٧٤) الى والده مشيراً الى علاقة الشعر بالموسيقى فأطلق عليها صفة القرابة.

ومن النادر ان نجد شاعراً يلم الماماً كافياً بالموسيقى، والشاعر الوحيد الذي كان يقضي بعض وقته لاعباً على الارغون في كنيسة «سنت بول» هو ادريان باتن. اما جون درايدن (١٦٣١—١٧٠٠) فكان آخر شعراء هذه الحقبة الذين اظهروا بعض الاهتمام في الموسيقى، فنراه يثني على الموسيقار «برسل» في مقدمة «امفيتريون» ونلاحظ في كتاباته الاخرى مثل «عيد الاسكندر» بعض التعريض الموسيقى، فهو يقدرها لا لشيء بل لقدرتها على اثارة العاطفة والشعور.

واذا تقدمنا شيئاً فشيئاً نحو شعراء القرن التاسع عشر بدت لنا هذه الظاهرة — ظاهرة خلو الشعر من موضوع الموسيقى — اكثر وضوحاً. فهذا وردسورث (١٧٧٠—١٨٥٠) شاعر الحب والجمال وهذا كولبردج (١٧٧٢—١٨٣٤) كلاهما يقعان خارج نطاق تأثير الموسيقى. اما شيلي (١٧٩٢—١٨٢٢) فمع انه كان يستطيب سماع الالحان العاطفية فانه لم يكترث بأهميتها. وقل مثل هذا على بايرن (١٧٨٨—١٨٢٤) الذي اذا جردناه من الاغنية التي كتبها الى (برامز) نكون قد قضينا على كل ما يربطه بالموسيقى من علاقة.

وكذلك كيتس (١٧٩٥ — ١٨٢١) لم يرد في قصائده اي ذكر للموسيقى البتة.

اما الادباء الافرنسيين في القرن التاسع عشر فباستثناء روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨) الذي كان يجيد الموسيقى وله بعض القطع المسجلة لا نجد من الادباء الافرنسيين مثل فولتير من يأبه بالموسيقى اما فيكتور هوغو فلم يرد في كتاباته سوى اطناب عرضي للموسيقار بيتهوفن.

وان اردنا ان نختار من يمثل العقلية الالمانية والادب الالماني في هذه الحقبة فليس هناك من ينافس غوته في هذا الاختيار. لقد عالج غوته في كتاباته جميع المواضيع التي كانت سائدة في عصره من فلسفة وسياسة وعلم الحياة الى غير ذلك من العلوم والمعارف. وصادف عندما ولد غوته ان كان الموسيقار باخ لا يزال في قيد الحياة وقبل موته بفترة وجيزة ابتدأ الموسيقار شومان بتأليف اول سمفونياته اما هايدن وموزارت وبيتهوفن وشوبرت وويبر فجميعهم نشأوا وترعرعوا والفوا روائعهم الموسيقية في اثناء حياته.

فاذا كان يا ترى موقف هذا الالماني العظيم حيال اعظم فن الماني؟ نحن نعلم بان علاقته مع بيتهوفن كانت حسنة وكان بينهما نوع من الصداقة الشخصية الا انه حينما كلفه بمهمة استحصال مبلغ من المال من الامير «كارل اوكست» لطبع احدى روائعه الموسيقية رفض غوته تلبية رجائه. اما شوبرت فقد بعث اليه بنسخة خطية من (ارلكوننك Erlkoning) فلم يأبه بها غوته حتى انه لم ينبس ببنت شفة.

هذا ما كان من موقف الادباء الغربيين حيال الموسيقى استعرضناه بصورة سريعة في اهم مراكز الحضارة الاوروبية: انكلترا وفرنسا

والمانيا واطلعنا على سعة الخلاف بين الشعر والموسيقى ؟ فما هو السبب يا ترى في هذا الجفاء ؟ يظهر ان السبب الذي ساعد على حصول عدم الالتئام هذا يعود الى عامل تأريخي وهو : في اواخر القرن السادس عشر واوائل القرن السابع عشر شاعت الموسيقى الغنائية وانتعش شعراء الاغاني لان الموسيقى كانت الواسطة المثلى للاشادة بذكرهم . وعلى هذا الاساس كان هذا العامل سبباً في تحسين العلاقات بين الشعراء والموسيقيين الى حد ما .

ولكن في اواسط القرن الثامن عشر اصابت الموسيقى الغنائية موجة ركود قوية اغاظت الشعراء اشد الاغاظة واثارت حقدهم على الموسيقى مما دعا اديسون ان يتذمر ويقول «لعن الله الموسيقى فانها حرمتنا من ان نتذوق سماع كل شيء ذي معنى » ومما زاد في الطين بلة ان اغلبية الموسيقيين اخذوا يوطدون استقلالهم الذاتي وينشئون مملكتهم بعيداً عن العالم المادي وفي معزل عن الشعراء . وبالاضافة الى ذلك فان اكتشاف الموسيقيين لآفاق جديدة كالسوناتا والكوارتيت والسمفونيا جعلهم يستغنون عن معاونة الشعراء ، بل ان ذلك اثار شوقهم للارتفاع الى عالم خاص بهم لا ينازعهم فيه منازع . فاذا كانت الحال كذلك فلا عجب اذا ما وجدنا الشعراء ينظرون الى هذا الفن الجديد نظرة ارتياب وعدم اطمئنان .

اوجه التشابه بين الشعر والموسيقى

على الرغم من ان علاقة الشعر بالموسيقى لم تكن على ما يرام كما بيّنا سابقاً فمن الممكن ايجاد عدد من اوجه التشابه بينهما .

واول ما يلفت نظرنا هو ان اللون والوزن معاً يحتلان مركزاً ذا اهمية كبرى في الشعر والموسيقى لا يمكن مقارنتها من حيث الاهمية مع بقية الفنون من تصوير ونحت وعمارة . وان يكن من المحتمل استخدام الوزن واللحن في هذه الفنون الا ان ذلك يكون بصورة رمزية فقط .

ومن الجدير بالذكر انه اذا اردنا مدح قصيدة شعرية اطلقنا عليها صفة الموسيقى فنقول مثلاً : تلك قصيدة جميلة ذات انسجام موسيقي . وفي الحقيقة انه لم يكن جزافاً ما قاله بيتهوفن عن نفسه بأنه شاعر الحان . ونقطة التشابه الثانية بين الشعر والموسيقى هي ان كلاهما معرضان الى نفس الامراض ، فالبشاعة المتعمدة في الشعر والموسيقى لا تقل اثراً وضرراً عن عبادة الاصنام للدين ، كما ان الفوضى المكتسبة بكساء الحرية الشخصية من اخطر الامراض التي تصيب هذين الفنين . نعم ان الحرية الشخصية هي اسمى غايات الفنان وبدونها لا يمكن وجود اي خلق او ابداع ، الا ان الحرية الشخصية لا تعني الابتعاد كلياً عن جميع قواعد الذوق السليم .

ومن الغريب ان بعض الموسيقيين يتلاعبون في قطعهم ويزيدون في تعقيدها ظانين ان هذا التعقيد يكسبها نوعاً من الرقي والعظمة كأن الصعوبة والتعقيد من صفات الفن الضرورية او انها من غاياته .

اما من ناحية الانسجام والتماسك الموجودين في القطع الموسيقية المنفردة والقصائد المنفردة فان هذه الصفة تكون على اشدها في هذين الفنين — الشعر والموسيقى — ولن تظهر لنا اهمية هذه الصفة الا اذا قارناها مع بقية الفنون . فنلاحظ مثلاً ان في امكاننا التطلع الى احدى الالواح الزيتية ، وعلى سبيل المثال لنفرض ان هذه القطعة هي العشاء الرباني لتتيان ، فباستطاعتنا ان ندرس تفاصيلها جزءاً جزءاً يميناً وشمالاً من الاعلى ومن الاسفل كما يمكننا دراسة الاشخاص فرداً فرداً والالمام بالنقوش والمنحوتات والاثاث ما وسعت له مداركنا ودقه نظراتنا .

اما في الشعر والموسيقى فهذه المميزات غير متوفرة اذ انه في بيت شعري يتعذر علينا تجزئته الى كلماته مع بقاء الانسجام والمعنى فلو اخذنا اشهر بيت لشكسبير واشهر لحنة لهاندل وحاولنا ترجيعها واعادتها — فمع ان الترجيع في هذه الحالة غير ممكن فانه يجرد كلاً من البيت الشعري واللحنة الموسيقية من جميع مزاياها ومعناها .

اوجه الاختلاف

يختلف الشعر عن الموسيقى في امور عديدة منها اختلاف الوسط ، فالشعر يعبر عنه بالكلمات وثروته المفردات اما الموسيقى فيعبر عنها بالاصوات وثروتها الالحان . واهم الاختلافات الاخرى قضية دقه العرض والقدرة على الوصف فالشعر يمتاز بهذه الناحية على الموسيقى بقدرته على دقة الوصف ، ومن ابرز مزايا الملاحم الشعرية وخاصة تلك التي ابدعها ملتن ودانتي هي على عرض الموضوع وتقريبه من اذهاننا كما هو وبهيئة شعرية جميلة وان هذه الميزة لا تعني نقل الظواهر الطبيعية بقدر ما يفعل الرسام في تصوير منظر طبيعي ، بل تعني بالدرجة الاولى تجسيد الافكار المتمثلة في تلك الظواهر . في هذه الناحية ، ناحية الدقة في عرض الموضوع بصورته الحقيقية تقف الموسيقى مكتوفة الايدي . ولو ان الموسيقى التصويرية قد بلغت شأواً بعيداً في التقدم فانها تعجز عن عرض الموضوع دون الاعتماد على مساعدة الكتابة وبعض الحركات التمثيلية كما هو الحال في الاوبرات .

واذا اخذنا مثلاً القطعة الموسيقية المسماة بـ (ارلكونكنك Erlkoning) لشوبرت والتي يصور فيها عاصفة هوجاء وكذلك

مقدمة (فالكيري Walküre) لفاغنر فان الانطباع الذي نحصل عليه لا يشبه صوت العاصفة الحقيقي ، ففي هذه الحالة يكون كل من شوبرت وفاغنر قد اخفقا في عرض الموضوع اذا كانت الغاية من قطعتيهما هو تمثيل العاصفة في حقيقتها ، وفي الحقيقة انهما لم يقصدا تقليد الطبيعه لان الفن لم يكن في جوهره تقليداً للطبيعة بل انه اكثر ما يكون خلقاً وابداعاً .

وبقدر تقصير الموسيقى في بلوغ الغاية في دقة الوصف فانها تتفوق على بقية الفنون من ناحية ان الابداع الموسيقي يتعذر تحليله ووصفه الا بالموسيقى نفسها . ومع هذا فان الموسيقى ضمن نطاقها ذات حقيقة لا تقل عن اي فن آخر فاسلوب باخ لا يقل روعة عن اسلوب ملتن وكذلك الانسجام والهيئة التي نجدها في قطع بيتهوفن لا تقل كمالاً عن تلك الصفات المماثلة عند شكسبير . وكما قال «كوليردج» ان الموسيقى الرديئة بمثابة الاشعار الخالية من المعنى تماماً .

ونقطة الاختلاف الاخرى بين الشعر والموسيقى هي ان اوزان الشعر محدودة وذات نطاق معين تتحكم في الشاعر عند نظمه قصائده . اما اوزان الموسيقى فلا حد لها وللموسيقار ملء الحرية في اختيار ما يراه مناسباً من الالحان والاصوات .

ونقطة الاختلاف الاخيرة التي استطيع وضعها في باب اوجه الاختلاف بين الشعر والموسيقى هي مسألة تمازج الاصوات وتداخل الالحان فالموسيقار في هذه الناحية مطلق الحرية في استخدام الاصوات المختلفة ، تلك الاصوات التي مع محافظة كل منها على استقلاله ووحدته فتداخلها جميعاً تكسب القطعة الموسيقية روعة وجاذبية .

ولكن في الشعر يختلف الحال تمام الاختلاف فالبهجة التي نحصل عليها في اشتراك عدد من المغنين في قطعة موسيقية غنائية تنقلب الى عكس ذلك حينما يقف اربعة شعراء وينطقون معاً ومرة واحدة . وما عدا هذه الاختلافات الجزئية فان العلاقة بينهما هي اوثق منها في اي فن من الفنون الاخرى وما الموسيقى في الحقيقة الا شعر يعبر عنه بالالحان عوضاً عن الكلمات .

بغداد — نجم الدين حمودي

....

المراجع : اهم المراجع التي طالعتها في كتابه هذا الموضوع هي :

1 — Collected Essays G. W. H. Hadow Oxford University Press 1928

ويحتوي هذا الكتاب على أهم المحاضرات والابحاث التي القيت في المجمع البريطاني وجامعتي اوكسفورد وكمبردج في موضوع الموسيقى بين عام ١٩٠٦ و١٩٢٦ .

2 — A Short History of English Literature S. Ifor Evans Pelican Books 1948

عاصفة

●

أيتها الطبيعة
انتِ أمي وأبي
وما تضمين كل عام
في الارض أم في السماء
اخوتي واخواتي . . .

***

لو كنت رياحاً يا هوج
لمرمرت على الاكواخ الفقيرة
آيات الرحمة والحنان . . .

***

لو كنت زوبعة يا دوامة
لدرت حول القصور الشامخة
أسحقها . . .
وأملأ رؤوسها الجوفاء الجافة . . .

***

لو كنت رياحاً يا نكباء
لولجت قلوب الصخور
ودفعتها ذراراً
أغاراً تنساب
في دروب الامد . . .

لو كنت رياحاً يا عاصية
لسجدت امام الايمان
عميقة بمحبة الانسان
في كل مكان وزمان
وعطفت أوتاري
أنغام الفرح تشدو . . .

***

لو كنت رياحاً يا نازعة
لدرت على نفسي
أنزع الادران
ثم على سواي
ما في نفوسهم من أدران . . .

***

لو كنت رياجاً يا ساقية
لسقت السلام
وسكبته هتاناً
على قلوب صحراوية
ظمأى . . .

***

ويل لك يا رياح
ان حطمت كوخاً
ويل لك يا رياح
ان اجفلتك القصور !
وكم في الاكواخ الصغيرة
من نفوس كبيرة
غمرها الايمان بالانسان
وكم في القصور العظيمة
من نفوس صغيرة
مسخها الكفر بالانسان . . .

***

مري يا رياح هدى
رحماك في ثوبك الجديد
وعلمي الانسان الكسيح
كيف يحبو في دروب السلام !

ثريا ملحس

المشوهون

مسرحية جديدة

بقلم خليل هنداوي

☆

الفصل الاول

المنظر الاول

يفتح الستار على مدينة مظلمة كمدينة الاموات. انوارها زرقاء. وظلمتها شاملة.

نحن في مستشفى يدل ما فيه على الاضطراب الزائد وفيه اطباء وممرضات واسرّة متنقلة تحمل جرحى وقتلى من اثر غارة جوية.

لا يزال الهدير بعيداً ولا يزال الدوي يتواصل منقطعاً.

(سيارة تدوي في الخارج)

عاطف : (لمن حوله من ممرضين وممرضات)

اقبلت سيارة الاسعاف مرة ثانية ، تداركوا من فيها

(يركضون بأسرتهم المتنقلة)

(لعادل)

أترى هؤلاء المدنيين يؤلفون جيشاً خطراً على العدو ؟

عادل : هي الحرب ، متى تجردت عن الانسانية ، فكيف نريد منها ان تتمسك بالانسانية...؟ انها وحدها عمل غير انساني ، لا هدف لها الا تشويه الانسانية...

عاطف : ذلك حق !

وهذه القافلة الثانية...

(أنين وصراخ من نساء ورجال واطفال)

(ام) : هلموا اولادي !... كنت احضنهم حينما هوت علينا القنبلة ولا ارى احداً منهم حولي.

عاطف : لا بأس عليهم ... اننا انتشلناهم احياء ... عودي الى هدوئك لان الهدوء شرط لانقاذ حياتك .

الام : بربك أصادق انت فيما تقول ؟ :

الا يزال الذي اختطفته القنبلة من بين يدي حياً... بشرني... قل لي تعد الى الحياة ، والامل ، والدنيا ، وكل شيء ! ما لي اراك ساكتاً ؟ اتظن انه لا يزال تحت الانقاض ؟ هاتوه لي على اي حال ! ان بامكاني ان ارد اليه الحياة ...

عاطف : (يواري وجهه)

انه حي ، اقسم لك على ذلك... اهدئي بالاً وقري عيناً !

(للمريض) اسحبوا سريرها الى قاعة العمليات !

(لعادل) أرأيت ان ساقها لا بد من بترها الآن لان العظم مهشم...

عادل : انها ليست تسأل عن حياتها...وسيان عندها ان تحيا بساقين او بساق واحدة. وانما يهمها ان ترى ولدها. ان قلبها يشعرها بان ولدها استبدت به الانقاض. ما عساها تصنع لو قلنا لها ذلك ؟

عاطف : انها تصبر قليلاً ثم تضمحل...

عادل : لا يزال هنالك تبع للقافلة ! ألا انتهاء لهذه المأساة ؟

(فجأة تدوي صفارات الانذار)

ممرض : اسرعوا حالاً الى الطوابق السفلى ، الى الملاجىء !

عاطف : وهؤلاء يتركون لمن ؟

عادل : لكن الخطر يهيب بنا ان نبتعد.

عاطف : سنعمل في الاعلى ، وفي

الزمان : ايام الحرب. في ليلة من ليالي الغارات الجوية.
المكان : بيت ومستشفى.
الاشخاص:
الدكتور عاطف
الدكتور عادل
علياء : زوجة عاطف. وام الولدين.
نجلاء : ابنة عاطف
طارق : ولد عاطف

الاسفل، وفي اي مكان!

(تدوي القنابل، ويتعالى ازيز الطائرات، والمدافع المضادة)

عادل : الغارة اثر الغارة ! والانقاض فوق الانقاض .

عاطف : (بتهكم) او ليست الانقاض التي تسببها قنابل الحرية تذهب في وجه الحرية؟ وما تسببها قنابل الوحشية تذهب بالوحشية. الآن ارسلوا سيارة الاسعاف تدور، وارسلوا سيارة غيرها . . . ربما اودى التأخر بكثير من الارواح المعلقة حياتها بخيط دقيق .

(يدق جرس التلفون)

عاطف : (نعم، نعم! . . .) هيأنا كل شيء . . . . السيارات الآن في الطريق . . .

سأذهب بنفسي !

(لعادل)

الخسائر في الارواح كثيرة، يظن ان نصف حي كامل قد دمرته القنابل !

سأقف بنفسي على اعمال الانقاذ واستخراج الضحايا . . .

عادل : كان الله معك !

عاطف : لا تبرح مكانك (يخرج عاطف)

المنظر الثاني

« في الملجأ ، (ام وولدها وابنتها) اسرة الطبيب عاطف على ضوء شمعة مرتجفة نجد الام تحضن ابنتها ، وطارق بجانبها يخفي اضطراباً في نفسه. الدوي يزيد شيئاً فشيئاً »

نجلاء : (لامها علياء)

اماه ! كل اعضائي ترتجف !

علياء : هوني عليك يا بنيتي ! انهم لا يضربون الا الاهداف العسكرية . . .

طارق : ولكن الا يدل هذا الدوي القريب على ان القنابل غير بعيدة عن رؤوسنا .

علياء : يخيل الينا ذلك ! ولكن الحقيقة . . .

(هنا يحسون بالبيت يرتجف زجاجه وتصطك ابوابه)

طارق : الحقيقة انهم سيصيبون سقفنا !

نجلاء : اماه! ضميني اليك! ناديابي! اين هو عنا في هذه الساعة؟

« تحاول الام عبثاً تهدئتها. لكن الدوي قد ابتعد وان كان لا يزال »

علياء : نامي يا نجلاء ! !

نجلاء : كيف انام ولم يأت ابي !

طارق : لا اراه الليلة قادراً على الوصول الينا . . . لان غارة الليلة عنيفة تنذر بضحايا كثيرة .

علياء : ان واجبه يدعوه الى استنقاذ الضحايا، والبحث عنهم تحت الانقاض !

نجلاء : ويلاه ! اينتشلون الضحايا من تحت الانقاض ؟ احقاً يا امي كما يقولون ؟ انهم يجدون اطفالاً مشوهين تحت الانقاض، ورجالاً مبتورين ! . . . و . .

علياء : ويك، ومن يوحي اليك بهذه الصور ؟

نجلاء : لقد سمعت جارتنا تقول اليوم : ان القنبلة التي سقطت على البناية الكبيرة، فتهشم تحتها عشرة اشخاص إختلطت اعضاؤهم بعضها ببعض . . .

طارق : انني لا استطيع ان اتمثل ابي الآن يدور تحت قصف القنابل من شارع الى شارع بسيارته . . . اخاف عليه الشظايا . . . حاملة المنايا !

علياء : قل : « لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » .

طارق : بودي ان انطلق اليه !

علياء : واي طريق تسلك في هذه الحالة ؟

« يشتد الدوي حتى لكأنه يقع عليهم »

نجلاء : اماه ! اماه ! شيء لا يمكن احتماله ! عدينا بالسفر الى الريف قبل مطلع الفجر ! . . لم يبق احد في المدينة.

علياء : وابوك يا نجلاء ؟ لمن تتركينه ؟

نجلاء : (تتردد باكية)

علياء : ليكن ذلك ! غداً سنسافر عند مطلع الفجر.

طارق : وابي . . .

علياء : يبقى ليُعنى بالمصابين . . . اليس هذا ما تريدون ؟

طارق : انني لا ابرح مكاني بدونه . . .

نجلاء : ولماذا يقتلوننا، ويهدمون بيوتنا ؟ اي غرض لهم في هذا الشيء ؟

علياء : ان هذا السؤال يتردد على كل شفة في المدينة . . . اما الجواب . . .

نجلاء : الجواب . . . تريدون الجواب ! هي الحرب . . . كل ما على الارض يتلظى بنارها، الابرياء فيها مثل المجرمين . . ومن نحن حتى ينقذنا القدر من لظاها ؟

طارق : ولكن اولئك يشتعلون بنارها، وينجرفون بتيارها . . . لانهم ارادوها . . . لانهم اشعلوها لينتصروا ! ونحن ماذا يصيبنا

اذا تحملنا اثقالهـا ... ؟ اولئك يموتون للظفر ... وغيرهم يهلكون للوطن ...

ونحن لمن نموت ؟ لو كان لنا وطن اقلنا : هو الوطن يريد ان يحيا على اشلائنا، وهي الحرية تريد ان تلغ في دمائنا.. ولكني التفت حولنا.. فلا ارى شيئاً نموت من اجله ؟ اليس ذلك حقاً يا امي...؟ هل نموت لشيء لا اعرفه ؟ ان كان هلاكنا من اجل الحرية فدعيني اخرج مع الخارجين ... وان كان استشهادنا من اجل الوطن فأعذب بالموت مورداً !

علياء : (مضطربة)

ولكن اهلنا — وحدهم — يموتون ...

(تبرق عينا طارق)

طارق : ألهدف اعمى ... ؟

علياء : للاشيء ... (ينكس طارق طرفه) دائماً للاشيء ! لقد مات آباؤك واجدادك من قبل... وتخضبت هذه الارض المقدسة بدمائهم للاشيء ... وكانت العاقبة في كل نكبة .

طارق : للاشيء ... !

علياء : لقد اغفت اختك، فأبعد الشمعة عن راسها... غلب الكرى عليها وهي تظن ان دوي القنابل قد انتهى..

(تنهض وتدير لها مكان نومها)

(تدق الساعة الواحدة بعد نصف الليل)

الا يزال تحت الانقاض مصابون يعملون على رفعهم ؟

طارق : مر على هذه الغارة ساعتان دون ان تنتهي ، وما اظنها منتهية حتى مطلع الفجر ...

علياء : لو كان هؤلاء المصابون يعتقدون بان اصاباتهم من اجل الحرية والوطن لهان عليهم الدمار والنار ! ولكنهم يعلمون انهم يصابون ، ويموتون .

طارق : للاشيء ...؟

علياء : هذا (اللاشيء) يلاحقنا دائماً .. ودائماً نتبع هـذا (اللاشيء) يخضب بلادنا الجميلة بابشع صور السلام .. على مسارحها يتنازعون ، وفي اطرافها واهلها يعيثون ، فاذا القضية ليس لنا فيها شيء .

طارق : اماه ! .. انا اصابني سوء فهدهدي روحي ببشائر الحرية ..!.. احس ان اليوم الذي نموت فيه من اجلها قريب .. رفاق لي كثيرون اهابت بهم فانسلوا من احضان اهليهم للقائها .

غير عابئين بالشدائد ولا حافلين بالمخاطر .. صغارهم متاريس رمل للابطال ، وكبارهم لمكافحة الاهوال .. انهم عرفوا ان يموتوا من اجل الحرية حينما نادتهم الحرية ..

علياء : ولكن موتنا الآن ..

طارق : لا لشيء ... ؟

يجب ان يكون موتنا لشيء ... يجب ان يفهم الناس اننا نموت .

علياء : للاشيء ...؟

طارق : اذا لم نمت الآن باسم الحرية فليقولوا لمن يقاتلون من اجلها ! اننا متنا من اجلها .

علياء : لكن هؤلاء لم يأتوا يوماً ، وان يأتوا ... قد انتظرناهم كثيراً على مفارق الطرق ، ولوحنا لهم بأيدينا ، فكانوا يملكون كل شيء الا الحق ، وكانوا يعطون كل شيء الا الحرية ...

طارق : امتأكدة انت انهم لن يأتوا ...؟

علياء : انهم مروا على هذه الطريق من مئات الاعوام ، ولا يزالون يمرون . يخدعوننا فنخدع ، ويكذبون علينا فنثق .. اما ضحاياهم فنحن دائماً !

طارق : ما افظع هذا المصير ! .. لانه ليست له سطور في صفحة المجد .

(نكسو وجهه كآبة)

ولكن يجب الا نتركهم يمرون ، واذا مروا فلنصم آذاننا عن استماع دعوتهم ... ولنصرف انفسنا عن الانخداع بحريتهم ! نحن وحدنا ... يجب ان نبقى هنا !

طارق : (باضطراب) لا لا ... لن نموت كذلك ! دعيني اخرج الى حيث اموت واقفاً (يشتد قصف القنابل حولهم) اريد ان اموت واقفاً — كما كان يموت اجدادي ...

(يسمع دوي هائل ونرى سحب الغبار فوق المنزل)

المنظر الثالث

عودة الى المستشفى

(الازدحام كثير ، والاسرة متعددة ، والانين يزيد ويتفرق ... يدخل احد المرضين مضطرباً ، ونراه مع الطبيب عادل)

عادل : (في حالة اضطراب ويأس)

ويحك ! هل هلكوا جميعاً ! ؟

الممرض : ذا ما استطعنا استنقاذه من تحت الانقاض ...

(مشيراً الى سرير عابر)

عادل : وهل بلغ « عاطف » هذا النبأ !

الممرض : ان سيارته كانت بعيدة !

عادل : ادعه بالهاتف ! .. ولكن لا .. ان وقعه سيكون خطراً احملوا فتاه الى غرفة العمليات ... يهمنا الآن ان نخفف الكارثة بانقاذه من الموت .

(يحدق في نظر الممرض المتردد)

أيكون ذلك مستحيلاً؟ احمل الاطباء على إجراء العملية قبل مجيء والده ! .. (يهمان بالذهاب فيسمعان صفير السيارة المقبلة) اظن انه مقبل...وان نفسه حدثته بالكارثة ... دع امر إخباره لي...ولا تتظاهر بأية خاطرة تبدو على وجهك !

« يدخل الطبيب عاطف وعلى وجهه امارات مـا لقيه من الهول والعناء في صنع الواجب : ولكن البسمة تزين ثغره.»

عاطف : هل من جديد؟ هل من ضحايا ؟ انها ليلة مكفهرة بما نضحت فيه من الاشلاء .

(لا يستطيع ان ينطلق معه في حديثه)

عادل : حقاً ما تقول ! ليلة شهدت اعنف الغارات وادهى النكبات ! تهشمت فيهـا اجساد كثيرة ، وتشوهت اطراف كثيرة..! ولا نعرف ما يخبيء لنا الهزيع الاخير منها ...

عاطف : تبقى انت على تشاؤمك

عادل : لي الحق يا طبيبي في هذا التشاؤم ... ارى الاشلاء تتناثر من حولي...واسمع تأوهات المتوجعين تصم منافذ سمعي.. وتريد بعد ذلك ان اتفاءل واطرب ! وما يدريني ان عزيزاً لي ، او فتى لك (يتمعض عاطف ولكنه لا يحفل) قد طوته الانقاض ، او هو — هنا — على احد هذه الاسرة ؟ (مشيراً الى السرير)

عاطف : (يهز رأسه كالمقتنع)

(لا يزال الانين يتصاعد)

ما زلنا نتحدث عن الغارات والطائرات والضحايا والانقاض حتى ازت فوق رؤوسنا ، وانقضت على سقوفنا ! ..

(صوت من القاعة الثانية مرفوق بتأوهات)

(عادل عرف صاحب الصوت ، وهو يتأمل في وجه (عاطف) الذي طفق يتغير)

طارق (صاحب الصوت)

اريد ان ارى وجه ابي ... اليس هو هنا ؟ ادعوه لي ... احس انفاس الحياة تذهب مني ... وجه ابي ... وجه امي ...

عاطف : اين يصيح هذا الصوت . ؟

عادل : في الغرفة المحاذية ... صاحبه — ولا شك — تحت مشارط الاطباء .

عاطف : علينا به !

عادل : ولكن ...

(يعود الصوت مرتفعاً)

طارق : اني اشعر بأنه قريب مني ، يسمعني ولا يستجيب ! الا اعرف صاحب هذا الصوت ؟

طارق : ابتاه !

عاطف : (يركض مضطرباً)

(يبقى عادل في مكانه حائراً)

***

« طارق على سرير، وحوله اطباء وممرضون ، بهتوا حين دخل ابوه عاطف »

طارق : أبتاه !

عاطف : ولدي !

طارق : اني بخير ...ولكني لا ادري ما حل بأمي واختي ، لم اجد الا الدخان ، واثقال التراب تنحط علينا .. فتحت عيني مددت يدي ...لا شيء الا الدخان ! اردت ان امشي فسقطت على شيء ... ثم وجدتني مطروحاً على هذا السرير ...

ممرض : (يتقدم الممرض السابق من عاطف)

تركت عملية رفع الانقاض تجري بسرعة ، وربما يتمكنون عاجلاً من استنقاذهما ...

عاطف : الم تنته الكارثة بعد ؟ رباه ! ماذا خبأ لي القدر؟

(طارق يتململ ، ولكن على ثغره بسمة المتعذب)

طارق : ذا كل ما تمنيته يا ابي ! انني راض جداً الآن !

عاطف : اي شيء تمنيت ؟

طارق : ان اراك .. !

هل يمكنني ان ارى وجه امي واختي ؟ لقد كنا نتكلم عن الموت والتضحية .. وقد هزتني كلمة امي حين قالت لي « اننـا نموت للاشيء. » احقاً ما قالته ؟

اتذهب حياتنا ضائعة ، وتتناثر اشلاؤنا وارواحنا بلا غرض ولا غاية ؟ قل لي لماذا نموت ، وفي سبيل اي هدف نسحق ؟

(عاطف يبقى متألماً ، شارداً ، قلقاً لا يحير جواباً)

اخبرني هل ترى على وجهي شعاعة الحياة ؟ هل ترى في عيني نورها المتدفق ؟ اني اريد الحياة ..

(طارق لا يزال يتململ)

ولكن لماذا اريدها ؟ فاذا كنا نموت للاشيء . فانا كذلك نحيا للاشيء .. واولى لهم ان يدخلوا ارضنا خالية خـاوية .. ! ابتاه ما لي اراك لا تتكلم ؟

(ينتبه عاطف) قوٌ في انفاس الحياة !. ستكون لي غاية اخرى من الحياة .. الست بواثق من بقائي .. ذلك ما اراه في صمتك .

عاطف : (يهتز ويمر يده على وجه ولده).

ما بك شيء .. انك ستحيا ..

طارق ! احقاً تقول ! دعني اقف قليلاً .. (يتحرك) ولكن لا .. ليس لي ساقان تحملانني ! .. عليك بأمي واختي . انهما في حاجة الى معونتك ، بادر اليهما .. سأبقى انتظر . ! حتى تعود .

(ينطلق عاطف بعد ان يقبل ولده والدمعة في عينه)

عاطف : « للمرض » انني ذاهب اليهما فانتظرني حتى اعود .

طارق : احقاً يستطيع ان يعود الآن بأمي ، واختي نجلاء ؟ لا اظن ذلك .. !

(يدخل عادل)

عادل : الى الحياة يا طارق !

طارق : ذلك ما آمله .

عادل : وابوك ؟ (يسمع دوي السيارة المنطلقة).

طارق : انه انطلق الى امي .

عادل : ذلك محال ... (يلتفت الممرض حوله) انه انطلق ليزج نفسه في وسط المعركة انه ذهب ليبحث عن الموت . لانه لا يريد ان يعود ادركوه !

طارق : قال : انه عائد الي مع امي واختي .

عادل : (يعي لطارق فيبدل حديثه) .

لننتظر اذاً عودته بعد قليل ! .. انك مرهق الآن فاسترح ولا تتكلم !

طارق : سأستريح .. ولكن اتظن ان عودته ستتحمل اكثر من ساعة اني افضل ان ابقى متيقظاً حتى يروا عيني مفتوحتين، لان العين المغمضة تبعث على الذعر والرعب . العين المغمضة تشبه العين الجامدة .. تكلموا امامي ! . عن الموت اذا شئتم ، لاني لن اخشى الموت ! ولكنا — واسفاه — نموت غير ابطال ! في غير معركة الحرية !

عادل : نعم ! يموت اهلنا غير ابطال، لكن الكثيرين منهم ماتوا ابطالاً ، من اجل الحرية التي احبوها ولم ينالوها . ماتوا مع الذين ادعوا بأنهم يحملونها الى الامم ، ولكنني لا اعرف الا انهم ماتوا . اما هي : الحرية : فقد بقيت عندنا سراً غامضاً .. او ..

(يبتسم طارق)

طارق : والآن اين بلغنا من منازل الحرية ؟

عادل : في كل مرة منازلها دانية . ولكن لا نراها .

طارق : اسفاه ! كما تقول لي امي « اننا نموت للاشيء ! » .

عادل : ولكن .. لا لا .. يجب الا نموت للاشيء ، اننا نموت لغاية اسمى ، اننا ننشوه لمثل اعلى .

لقد جاء الغرب مرات عدة الى الشرق ، وفي كل مرة خضب هذه الارض المقدسة بدماء الابرياء ، وغرسها بالاشلاء . وفي كل مرة يضرب او يدمر باسم الحق والحرية دخلها مرات فلم يتركوا وراءهم الا الخرائب والانقاض والحرائق . ولكن الشرق ، الشرق الجميل كبير الروح ، واسع الامل ، سامي المثل . ترسل منارته اشعة الحق والحرية . لقد بقي الشرق دائماً . وسيبقى ! هذه الانقاض لا بد منها ! وهؤلاء الاموات لا منصرف عنهم ، وهؤلاء المشوهون يحتاج الشرق اليهم في رسالته . وهذه الارض المخضبة بالدماء هي التي ستفيض بالشعاع !

(طارق يظهر على عينيه بريق خفي ، وارتياح غامض)

طارق : ما اسمى معانيك ! كنت من قبل اموت بدون امل ولا تعزية ! فما اعذب الموت الآن !

عادل : (وكأنه لا يلتفت الى الجملة الاخيرة).

هذه الانقاض تدل على ان رسالة الغرب افلست .. وهذه الضحايا هدية الحرية التي تولد في احضان الشرق وهؤلاء المشوهون رسالة الشرق الى الغرب ، رسالة الانسانية السامية الى الوحشية التي لا ترحم !(يدوي بوق السيارة).

(يلتفت الى طارق فيرى انه اغمض عينيه، وعلى وجهه غبطة عميقة)

اواه طارق ! لقد عاد ابوك . تيقظ يا طارق !

(صمت طويل يقطعه دخول ممرض لا يلبث ان يقف ذاهلاً)

لا تتركوا والده يدخل فوراً

ممرض : ولكنا تركناه تحت الانقاض اثناء قيامه بالواجب . انه انتهى .

(يهب عادل)

عادل : لقد صدق ظني . انه ما ذهب الا لينتحر .

دائماً .. انقاض ضحايا مشوهون متى يطلع النور ؟ الانقاض والضحايا رسالة المدنية . والمشوهون رسالة الحرية

الستار

خليل هنداوي — حلب

الدوس هكسلي وفنه الروائي

بقلم جبرا ابراهيم جبرا
ستاذ في الآداب من جامعة كمبرج

☆

اذا كان الادب الانكليزي اليوم في طليعة آداب العالم فان الدوس هكسلي Aldous Huxley في طليعة الادباء الانكليز، وبالتالي فهو من القلائل الذين بسطوا نفوذهم الذهني على الجيل الاخير في اكثر اقطار العالم المتمدن. وقد بلغ الدوس هكسلي هذه المرتبة السامية في عالم الادب والفكر منذ ان كان شاباً، يكتب القصة القصيرة والرواية والشعر، ويؤلف في الفلسفة والدين والرحلة والنقد الفني. ويشبه الدوس هكسلي في هذا علماء القرون الوسطى، الذين كانوا يرفضون التخصص في ناحية واحدة من نواحي المعرفة، ولا يختلف عنهم الا بمقدرته على جمع شتات المعرفة، كلما اراد، في قصص وروايات طريفة، يصور فيها عصرنا الحاضر تصويراً شاملاً، ويصب عليه نقده اللاذع.

وقد اصطلحت الظروف المؤاتية على ايجاد هذا الرجل الفذ، فجده كان توماس هكسلي، وهو من علماء القرن الماضي المشهورين، وينتمي من ناحية امه الى النقادة والشاعر الكبير ماثيو آرنولد. وكان ابوه كاتباً وعالماً من علماء اللغة الاغريقية، واخوه جوليان هكسلي من اشهر علماء اليوم، ولهذا فان الدوس هكسلي ربيب ثقافة وعلم كثير، تشرب المعرفة منذ نعومة اظفاره حقاً. وقد كان والداه ينويان جعل الدوس عالماً، وجعل اخيه الاكبر جوليان اديباً، فعني الدوس بادىء الامر بالمسائل العلمية وتوسع في دراستها، في حين اكب اخوه على الادب. ولكن انقلبت الآية بعد ذلك فاصبح الدوس اديباً، واصبح اخوه عالماً. ولا ريب في ان دراسة الدوس هكسلي للعلم دراسة مفصلة هي احد اسباب تفوقه في الكتابة، وبخاصة في عصر كعصرنا، اجتاحته النظريات العلمية وقتلت المادة نشاطه الروحي. فلا بد لمن يريد ان يقارع العصر وينتقده من ان يحوز على المعرفة العلمية التي يتبجح بها. وقد استغل هكسلي العلم في شتى مظاهره في كتاباته الادبية، حتى دعاه البعض « الكاتب الانسيكلوبيدي ».

درس هكسلي في ايتون واكسفورد، غير انه نشأ ناقماً على المجتمع وطرق الحياة كما وجدها بعد الحرب العالمية الاولى. فقد كانت تلك الحرب خاتمة عصر مضى وفاتحة عصر جديد، عصر انتشر فيه الشك اولاً، ثم التشاؤم، وبعد ذلك عمه اليأس فأصاب العالم افلاس في الروح والاخلاق. ولم يكن الاستهتار المكشوف والعنف الفاشستي الا من مظاهر ذلك الافلاس الروحي. فادرك الدوس هكسلي ان العلم في تقدم مستمر، ولكن ليس هناك تقدم روحي يوازي هذا التقدم العلمي، فقال اذن لا بد للانسان ان يلحق الاذى بنفسه اذا استمر ببحثه العلمي دون ان يعنى بمصيره الروحي. وبعد ان كان جده المشهور توماس هكسلي يدعو الجماعة الى الايمان بالعلم والى الايمان بالسعادة التي تأتي عن طريقه، راح الدوس هكسلي يهاجم العلم وما يفرضه على النفس من فراغ وانصراف الى الحيوانية المتنكرة في زي التمدن البراق، مستعملاً في هجومه اطلاعه الواسع في العلم والتاريخ، قائلاً ان الانسان لن ينجو من الدمار، الا اذا عاد الى حياته الروحية يغذيها وينميها من جديد.

وقد وقع هذا الكاتب تحت تأثير د. ه. لورنس D.H. Lawrence ردحاً من الزمن، واعجب به، مع ما بينهما من فرق كثير. فقد

كان د. ه. لورنس عصامياً ، نشأ في حي فقير قذر من احياء عمال مناجم الفحم ، وحصل على معرفته بكدحه وجهده . وكان ينظر الى الحياة عن طريق البدائية ، معتمداً على دوافع الغريزة والعواطف الفطرية — في حين كان هكسلي ينظر الى الحياة عن طريق الذهن ، فيسلط على كل شيء سلاحاً حاداً من العقل ، يجزئه به قطعة قطعة . وفي حين راى لورنس في الجنس خصاب الطبيعة وجمالها ، افتتن هكسلي بالجنس واشمأز منه معاً : اذ رأى فيه الشهوانية التي ترافق التشكك والانحلال الاجتماعي ، عندما يعجز الانسان عن مواجهة مشاكله الروحية ، فيتخبط في حمأة اللذة الجنسية كمنفذ يتخلص به .

وقد حاول لورنس ان يجد طريقاً لنجاة النفس الانسانية من بين انقاض المدنية وقبح الحياة الصناعية التي استعبدت الناس . فوجه كل سخطه الى « الآلة » التي هي رمز هذا الاستعباد ، وجعل يتنقل مع زوجته بين ارجاء العالم، باحثاً عن مكان يستطيع فيه ان يحيا حياة البساطة : حياة الجسد النابض والروح العابدة . وقد رافقه هكسلي مدة في تطوافه ، وهاجم المدنية مثله لوحشيتها وخنوعها الروحي ، في روايات اشتهرت بما فيها من مزج رائع بين الفلسفة والتهكم . وفي سنة ١٩٢٨ اصدر هكسلي كتاباً لعله سيبقى اعظم كتبه (وكان هو حينئذ في الرابعة والثلاثين من عمره) ، والكتاب رواية طويلة عنوانها « نغمة ازاء نغمة Point Counter Point » جمع فيها المؤلف عدداً من الشخصيات المتباينة يمثل مجموعها حالة المدنية في الغرب كما رآها حينئذ . والشخصية الرئيسية تمثل د. ه. لورنس (واسمه في الرواية مارك رامبيون Rampion) يكافح عالماً يتداعى وحضارة تأبى الا الاسفاف بمظاهرها ومقاييسها . وفيه سخرية تشبه سخرية فولتير من مادية العلم وشراسة الفاشستية التي تجعل من الفرد آلة في يد الزعيم ، وخلاعة الطبقات الموسرة . ولعل رواية « نغمة ازاء نغمة » خير مقدمة لمن يشاء ان يفهم الادب الانكليزي المعاصر ، او ان يتمتع بابداع هكسلي على احسنه .

ويمكن تشبيه قصص هكسلي بغرف التشريح . وذلك لانه ، كأكثر معاصريه المشهورين من الروائيين ، لا يهتم بعقدة القصة بقدر ما يعتني بتصوير الشخصية ، عن طريق الجدال والمناقشة ، يبحث فيها عن العلل الانسانية ، او يستقصي بها المسائل الفكرية محللاً مفصلاً . وطريقته في ذلك هي ان يجمع اشخاصه في حفلات وولائم — بعد ان نكون قد عرفنا شيئاً من ظروفهم الخاصة — فيعرض لنا الكاتب الخواطر التي تعبث في صدر كل منهم ، وفي الوقت نفسه يدفعهم الى المناقشة والحديث . وبهذا نطلع على حقيقة كل من هؤلاء المتحدثين ، فنشاهد تحليقهم الفكري واسفافهم الخلقي في وقت واحد . ويستمر هذا « التشريح » ، فننتقل من وليمة الى اخرى ، ومن اجتماع الى آخر ، الى ان نبلغ نقطة نجد عندها ان اكثر الاشخاص قد ماتوا في ارواحهم ، او قد ماتوا فعلاً . واذ يفصل هكسلي هذا فانه يثير اهتماماً دائماً بفعل فكاهته المستمرة وسخريته الضافية، وبملاحقة غراميات كل شخص على حدة في شيء من الصراحة : ويحبك هذه جميعاً في حبك قوياً في رواية متماسكة الاجزاء ، متباينة الالوان .

ولكن ما هي المواضيع التي يخوضها هؤلاء الاشخاص في ولائمهم ضمن هذا التهكم والضحك وهذا التحليل الفلسفي ؟ انها مواضيع المثقفين : فاحاديثهم كلها لبقة ، تشير الى تعمق ومعرفة لا يعلها القارىء ، لانها تدور حول المشاكل التي ما زالت تجابهنا : الفن ، الجنس ، اللذة الذهنية، تحليل المرء لنفسه ودوافعه، السياسة الحياة الروحية — او ليست هذه مواضيع الفكر عند كل امرىء متمدن ؟ ان هكسلي في الحقيقة ، عند مهاجمته المدنية الغربية ، انما يفعل ذلك لكي يبقي على افضل تراث فيها ، ويسعى الى فرز التراث من بين قمامة المدنية وركامها الخانق .

ومن كتب المؤلف رواية « ما اجمل العالم الجديد » (Brave New World) وقد ترجم الى العربية مؤخراً وطبع في مصر تحت عنوان « العالم الطريف » وفيه يصور هكسلي عالماً خيالياً تقدم في العلم ، فاصبح الناس فيه لا يولدون ، وانما يصنعون في المختبرات حسب الطلب ، ولا يبقى من ابناء العالم القديم الا جماعة يدعوها ابناء المختبرات « جماعة المتوحشين » ، ويحاولون ان يقضوا عليها . وهذا يصور قلق هكسلي على العالم الجديد الذي سيقضي بمخترعاته وآلاته على العالم القديم الذي كان يتصف بالروحانية وحب الجمال .

وقد عكف هكسلي مؤخراً في كاليفورنيا بامريكا على دراسة الفلسفة الهندية، حيث يشترك مع جماعة من الادباء والشعراء في الايمان بمذهب غاندي القائل بالمسالمة . وكتاباته — او قل تعليقاته — الفلسفية ممتعة ، كما في كتابه الاخير « الفلسفة الدائمة » غير ان شهرته ستستقر طويلاً على رواياته واقاصيصه . وسيبقى دائماً الكاتب المحبب الى كل من تهمه شؤون الفكر ، ويقلقه مصير الانسان ، وتبهره الكتابة الذكية .

بغداد — جبرا ابراهيم جبرا

امومة الطبيعة

بقلم نسيم نصر
استاذ الادب العربي بالكلية الوطنية بالشويفات

●

في الضحوة الاولى من صحوات آذار البليلة اللابسة نسيج الضياء مطيباً بأنفاس الربيع خرجت طفيلياً الى مباهج الموسم، موسم البعث والجمال والدفء، فاستقبلتني عرائس اللوز ناثرة من زهورها فراشات بيضاء لوحتها الشهبة، وتبسمت لي بنات الشقيق بشفاه القرمز تودداً وابحاء بجمال الموكب الوافد، وغضت من حولي عذارى الاقحوان جفونها حياء من تطلعي اليها بعين الجوع الى محاسن الطبيعة، فوقفت مأخوذاً بروعة ما ارى كمن عرض له حلم جميل طويل .

وما هي غير فينة خاطفة حتى دعتني بعدها اجواق العصافير الى استطراد السير على كتف الهضبة مراوحاً طرفي في جوانب متوزع الواح الفتون الناضر المطيب .

فمن اسفل الوادي حيث تكر دموع السماء عائدة الى البحر، الى المنحدر، حيث تتطاول سويقات الزرع الى مجاذبة اغصان الشجر عناق النور، الى منبسط التربة المرتفع، حيث يضحك نيسان على ضريح الشتاء، على هذا المسرح الخالد تمثل الحياة فصلها الاول من رواية دورة الارض حول الشمس .

ولكن مثلي، في مثل ذلك المكان وتلك الساعة من العمر، لا يستطيع السير طويلاً لئلا تعبث رجلاه، على غير قصد منه، بأسباب الجمال وبراعم الحياة الطالعة في نظامها الازلي .

كنت اخشى، إما تحركت، ان أذعر طائراً يتخير المكان لعشه او اعيق من عمله آخر يتحين غفلتي ليحمل قشة جافة لتكون ضلعاً ناعماً في مهد الفراخ العتيدة الظهور بعد اسابيع قليلة .

كنت اخاف اما مددت يدي الى بعض ما حولي، ان أسقط في غير مكانه لقاح الحياة في عالم الخضرة المنبثقة من احشاء الارض كنوزاً تؤدي رسالتها في حفظ النوع متحفظة ان يقوم هنالك مفسدة لنظامها الخالد .

كنت اتحاشى ان احدث ثقباً، في غير دراية وعناية، حذراً من ان احبط بناء لدويبة تعنى بامره حضناً لبيوضها الحافلة بالمواليد .

وفيما انا كذلك لاحت لي نحلة حدا بها فوح الربيع فذهبت بين مباسم ابكار آذار، بعيداً عن قفيرها، لتجني عسلاً لمرارة الافواه المتربصة بثروة خلاياها غنيمة باردة وحلوى نادرة على موائد الشره البشري . هذه الحشرة التي اخجلت كيمياء الانسان وادهشت عباقرة فن البناء واعيت اقطاب الفكر في نظام دولتها وجاءت تساعد النياسم في حمل البنات وامومة عرائس الحقل، تركتني ذاهلاً عن نفسي مستلقياً الى جانب صخرة تندى شقوقها بالطحلب كأن رسالة الربيع اخذت على هوامشها ان تفتق الصخر منبتاً لطفيليات موكب البعث .

وصحوت من ذهولي على صوت يقول في غناء شجي .

« امي : الحياة تكشفت استارها لعيون بنتك وانجلت اسرارها »

ونظرت فاذا بفتاة قروية اندرجت بين نبات الربيع كبيت الشاعر في القصيدة الملهمة الرائعة، وهممت ان الفت نظرها الى وجودي بحركة تبدر مني، ولكني عدلت عن ذلك وعدت الى سكوني عند ما رايتها تشيع ببصرها الى هنا وهناك كأنها تخشى ان يكون حولها من سمع غناءها .

رصدتها من وراء الصخرة فرايتها تداعب اعناق بعض الزهور كما يداعب القائد اوسمة النصر على صدره وشهدتها تقتطف افانين من الصعتر كما تقتطف خطرات النسيم قبلاتها الناعمة .. ثم سمعتها تنادي حملاً صغيراً كأنه دمية من الثلج خلفها كانون فاحياها آذار

مر الربيـــع

☆

مر الربيع
فاي شيء نرتجيه
واي شيء كان فيه
هو كالشتاء
او الخريف
ظل كريه
يمتد في الافق المخيف
بلا اعتناء
وظلامه كظلامها
وغمامه كغمامها
ما دام في عيني دموع
فعلامَ كنا نرتجيه
واي شيء كان فيه
مر الربيع
وهبه مرَّ ، غداً يعود
بمسوح قديس جديد
ليقول : ويك انا الشتاء
الا تخاف
الا يواليك ارتجاف
ويمر بي وامر احلم بالورود
وبالشموع تضيء داري
وبالظلال على الجدار
يطفن في صمت وديع
فهبه قال انا الشتاء
او لم يكن هو كالربيع
مر الربيع
لا .. لن يمر
فليس في قلبي دموع

بغداد — بلند الحيدري

واطلقها فتنة بين تلك المفاتن الساحرة .

ها هو الحمل يقفز اليها مرسلاً ثغاءه اللطيف :« ما ! . ما » متلفتاً الى هنا وهناك كمن يفتش عن ضائع . وها هو يُمِر لسانه الدافيء الناعم على انامل قائدته العذراء في مثل قُبل الوداعة تطبع على يد الطهارة .

لقد غابت عن عيني تلك الصبية وحملها يرافق ظلها ، فوقفت وقفة المتعبد الضرع في هيكل الخشوع وتحولت بنظري نحو السماء استطلعها اسرار هذه الامومة المالئة رحاب هذه الطبيعة واقول :

« اكل ما ارى وكل ما اسمع يتغنى بها او يعبىء جهون لها ، او على الاقل يتغنى بها تأثراً بوحي الغريزة ودوافع ناموس البقاء ؟ »

وانت ايها الربيع تطل على الدنيا بمفاتنك ومحاسنك وتغمر الارض بدفئك ونبتك ، فيتغنى بك الشعراء ويأخذ عنك الرسامون ويخرج الى احضانك المتنزهون كأنك في نظر كل هؤلاء رسول البهجة ومبدع الوان الفن وموقع نشيد الالهام . نعم انك لكذلك ، ولكن كل هذه الميزات تجمعها في واحدة وتفشيها سراً تستله من جوف الارض مذاعاً في هذه الالواح والمباهج ، وهو في الحقيقة مجموع في واحدة انت مجلاها النضير ومهدها الدافيء ، هي امومة الطبيعة .

اي ربيعي الحلو ! لو لم تمتلىء احشاء الارض بعناصر الحياة التي كونها كانون واخرجها آذار لما انقشعت غيوم الشتاء الدكناء عن دنيا ضاحكة ، تحتضن هنا وهناك مواليد تتفتح للنور وتتمايل لمرور النسيم ، وتعلن في كل فوحة وفي شمة كل زهرة سراً من كوامن امومة الطبيعة .

فاذا خرجت الى دنيـاك المتبرجة الولود ، فلكي ارى في حسن كل زهرة ، واسمع في شدو كل طائر ، واحس في هينمة كل نسمة وموجة كل صوت في احضانك الرحبة ، رمزاً من رموز البعث وتجديداً لاعجوبة الخليقة وولادة الارض .

واذا عدت من رحابك الآهلة بعناصر الحياة المتجددة الريا بقطر الشتاء ، المشربة لعناق النور واقتبال الدفء ، فلكي ادخل مأواي واحتضن بذور الايمان بالحياة الانسانية الخالدة ، تلك البذور العجيبة التي تستحيل الى آمال نفس وروائد فكر يجنحها الخيال ، فتفر تباعاً من نافذة وكري الضيق الى فجاج العلاء ، وعندما تنعتق ذاتي من قيود التراب وسجن الجدران تلحق بها الى عالم اللانهاية .

فرحى لك ومرحباً بقدومك يا كرة العـام ، ويا رسول الابد في معرض الامومة الخالدة .

نسيم نصر

الله سبحانه في الادب والفلسفة

بقلم عيسى ميخائيل سابا

☆

لمّا ظهرت الحياة ، وكان الانسان ، واذا هو يرى بعيني رأسه كوناً مرتباً يسير على نظام واحد لا يتبدل ولا يتغير في نظره ، ولا يعدوه الى نظام آخر . رأى السماء مرصعة بالدرر الغوالي ليلاً والقمر يبعث انواره تحكي زبد البحر ابيض مشوباً بسمرة ، فقال ان وراء هذه مكوناً قديراً جباراً ، ورأى الشمس تضيء نهاراً والارض تتنفس عن فصولها فتخرج لكل فصل مواتها ، زهراً وخضاراً واثماراً ، فزاد ايمانه يقيناً وجزم ان وراء هذا كله خالقاً مبدعاً مدبراً ، ومـا زال الزمن يكر ، وفسحة الابد تزيده تفكيراً حتى تكشفت له الحقائق الا قليلاً ، فاصابه قبس من نور أضاء امامه سبل ما استوعر ، فكان له الانبياء والرسل والمرشدون ، واذا الحب الفتي يستكمل في قلبه،وتتفتح له جوانب من الشكر فتجري على لسانه عقداً منظماً ، وآيات بينات تعلن الحب وتقر صادعة بقدرة متفرد واحد احد ، ازلي صمد لا تأخذه سنة ولا نوم ، واذا بنا نسمع امية بن ابي الصلت يقول :

الٰه العالمين وكل ارض ... ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعاً شداداً ... بلا عمد يرين ولا رجال
وسوّاها وزيّنها بنور ... من الشمس المضيئة والهلال
ومن شهب تلالأ في دجاها ... مراميها اشدّ من النصال

وكأني بأمية قد نظر في الكتب المنزلة فعقد بعض آي المزمور المئة والسابع والاربعين :

تسبّحه الطير الجوانح في الخفا ... واذ هي في جو السماء تصعّدُ
ومن خوف ربي سبح الرعد فوقنا ... وسبحه وحش الفلا وهو يأبد
وسبحه النينان والبحر زاخر ... وما طمّ من شيء وما هو مقلد

ونسير مع الزمن نستقري المروي من افواه الرواة ، فنظفر بقس بن ساعدة الايادي فنسمعه من فوق راحلته يقول : « ان في السماء لخبرا ، وان في الارض لعبرا ، ليل داج ، وسماء ذات ابراج ، وارض ذات رتاج ، وبحار ذات ابراج الخ .

ثم نسمع زهيراً بن ابي سلمى .

فلا تكتمنّ الله ما في نفوسكم ... ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخّر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم الحساب او يعجل فينقم

وتتقدم بنا الايام واذا ذكر الله ملء الافواه ملء السمع في الادب ، واذا علي بن ابي طالب يقول :

العجز في درك الادراك إدراك ... والبحث عن سر ذات السر اشراك

ويسمعنا ابو الاسود الدؤلي قوله :

ان العباد وشأنهم وامورهم ... بيد الاله يقلّب الاحوالا

وفيه توكل وتسليم ، وان كان الاتكال عليه سبحانه وتعالى واجب او امر مفروض مندوب اليه ، فالسعي مع الاتكال والكدح في طلب المزيد من خيرات الدنيا والكشف عن اسرارها والبحث عن عجائبها فرض واجب محتوم و« سيروا في الارض وامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » ويملي علينا ايضاً علي ابن ابي طالب اول مفكر في الاسلام قوله : « ان العقل لاقامة رسم العبودية ، لا لادراك الربوبية » وقد انشد :

كيفية النفس ليس المرء يدركها ... فكيف كيفية الجبار في القدم
هذا الذي انشأ الاشياء مبتدئاً ... فكيف يدركه مستحدث النسم

ويتقدم بنا الزمن وتترجم الكتب الفلسفية عن اليونانية والهندية والفارسية والسريانية ويأخذ العقل بالتحليل والتفكير وينقسم المفكرون الى فرق ويمشي كل في طريق فيذخر الادب بذكر الله وصفاته وقدرته ، ويقوم غير واحد من الشعراء المتصوفة

وغيرهم وينظمون في ذاته العلية ويسأل الزمخشري الامام الغزالي عن قوله تعالى : «الرحمن على العرش استوى» فيجيبه الغزالي بقوله :

قل لمن يفهم عني ما اقول ... اترك البحث فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه ... ضربت بالسيف اعناق الفحول

الى ان يقول له اخيراً :

فاذا كانت طواياك التي ... بين جنبيك بها انت جهول
كيف تدري من على العرش استوى ... لا تقل كيف استوى كيف الوصول
فهو لا كيف ولا أين له ... هو رب الكيف والكيف يحول

ثم نسمع محمد بن السيد البطليوسي يقول شاكراً موحداً :

الهي اني شاكر لك حامد ... واني لساع في رضاك وجاهد
. . .
وكل وجود عن وجودك كائن ... فواجد اصناف الورى لك واحد

وان نحن نظرنا في ديوان ابي العتاهية نجد الشيء الكثير من ذكر الله وحمده ونكتفي بقوله :

تعالى الواحد الصمد الجليل ... وحاشا ان يكون له عديل
هو الملك العزيز وكل شيء ... سواه فهو منتقص ذليل
وكل مفوّة اثنى عليه ... ليبلغه فتخسر ذليل

ولم يقتصر ذلك على الشعراء الزاهدين والذاهبين مذهب المتصوفة بل نرى ذلك عند من اخذتهم الحيرة فاوقعتهم في حيص بيص ، في شأن الكون والخلق والابداع كابي العلاء المعري الذي زاول دنياه وفي قلبه غصة وفي عقله حيرة وشك يقول :

حكمٌ تدل على حكيم قادر ... متفرد في عزة بكمال

وانشد ايضاً :

فتبارك الله الذي هو قادر ... تعيي وتقصر دونه الاوصاف

ومن قوله :

تعالى الله وهو أجلّ قدرا ... من الاخبار عنه بالتعالي

وان نحن بحثنا في مخلفات هذا المفكر الحائر نراه يذهب الى ان الطير كالانس تعرف ربها فيقول :

والطير مثل الانس تعرف ربها ... وترى بها الشعراء والرجازا
فيهن مسهاب يمد وناطق ... ترك المقال وآثر الايجازا

ولكن رابعة العدوية الزاهدة الذاكرة الشاكرة التي عافت الدنيا واعرضت عن زخارفها وما فيها من لذاذة ورفاهية تقول :

يا مونس الابرار في خلواتهم ... يا خير من حطت به النزّال
من ذاق حبّك لا يزال متيماً ... فرحَ الفؤاد متيماً بلبال

ومن قولها في العزة الكلية :

احبّك حبّين حبّ الوداد ... وحبّاً لانك اهل لذاكا
فاما الذي هو حب الوداد ... فحب شغلت به عن سواكا
وأما الذي انت اهلٌ له ... فكشفك الحجب حتى أراكا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ومن اقوال ابن حبيب الحلبي ما ملخصه : نظرت ذات ليلة نظرة في النجوم فاذا السماء كأنها روضة مزهرة او شيء مرقوم او غدير تطفو عليه الفواقع او بنفسج نوّر اقاحه لامع او جمر في خلال رماد او كما قال مَن اجاد :

بساط زمرد نثرت عليه ... دنانير تخالطها دراهم

ويطالعنا عبد الرحيم البرعي بقوله حيث يرى ان الله فاحص القلوب والكلى ، ويعرف ما دقّ وما استتر لا تخفيه خافية ولاتند عن عظمته شاردة او واردة :

يرى حركات النمل في ظلم الدجى ... ولم يخفَ اعلان عليه واسرار
ويحصي عديد الرمل والقطر والحصى ... وما اشتملت نجدٌ عليه واغوار

وينشدنا صاحب الشيبانية :

هو الاول المبدي بغير بداية ... وآخر من يبقى مقيماً مويدا
سميع بصير عالم متكلم ... قدير يعيد العالمين كما بدا

ويثني صاحب بدء الامالي فيقول :

يميت الخلق طراً ثم يحيي ... فيجزيهم على وفق الخصال
لاهل الخير جنات ونعمى ... وللكفار ادراك النكال

ونرى السهروردي او الشيخ المقتول يقول :

ابدا تحنّ اليكم الارواح ... ووصالكم ريحانها والراحُ
وقلوب اهل ودادكم تشتاقكم ... والى لذيذ لقائكم ترتاح

وان نحن اخذنا بدراسة دواوين الشعراء والمجاميع قديمها وحديثها نظفر بالشيء الوافر فنجد ان الله سبحانه قد حل في الادب العربي مكانة رفيعة فلا يخلو كتاب او قول من ذكره مما يدلنا على ان العرب قد اخذوا بنصيب خصب من البحث المتواصل في الكون وخلقه عن طريق العقل والمنطق وليس عن طريق الدين فحسب وهذا عبد الباقي العمري يغرد من فوق اغصان جنة طمأنينته :

ما ازددت فيه تفكّرا ... الا وزدت تحيرا
والى ورا ناداني العقل السليم الى ورا
وغدا يناشدني النهى ... أطرق كرا أطرق كرا
فنكصت بعد تقدّمي ... ورجعت عنه القهقرى
وطفقت انشد خاسئاً ... اين الثريا من الثرى

ومن مرويات الاصمعي انه رأى غلاماً اعرابياً يمجد ربه ويقول :

عظمت صفاتك يا عظيم فجلّ ان ... يحصي الثناء عليك فيها قائل

ومن منظوم الشيخ عبد الغني النابلسي :

ليت لو تشعر ماذا كنت من ... قبل ما مولى الموالي اخترعك
كنت لا شيء واصبحت به ... خير شيء بشرا قد طبعك

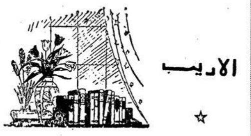
ونسمع شيخ المتصوفة ابن الفارض يقول :

كملت محاسنه فلو اهدى لنا ... للبدر عند تمامه لم يخسف
وعلى تفنن واصفيه بحسنه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وقول ابن دريد في مربعته :

فاتت محاسنه فكل مسربل ... بالحسن عن ادنى مداه واقف
فاذا بدت شمس النهار ووجهه ... رجعت ولون النور منها كاسف

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدوءها شهر كانون الثاني (يناير)

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرليفياً

او ٦٠ دولاراً كحدّ اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

للاعلان تراجع ادارة المجلة

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تلفون { الادارة : ٤٧ -- ٩٢ / المنزل : ٣٧ -- ٤٨ } Direct. : 92 - 47 / Dcle. : 48 - 37 } Tél.

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير اديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

فرد المحاسن لا يقوم بوصفه ... ابدا وان بلغ النهاية واصف

وننتقل الى ما جاء في اقوال مفكري العرب ، قال ابو حيان التوحيدي في كتابه المقابسات ما نصه : « ان الله واحد على لحظ ذات ، لا شوب فيها ،وتجريد انيّة ، لا نعت لهـا ، واشارة الى هوية لا عبارة عنها » ويقول الفارابي في المدينة الفاضلة ما معناه : يوجد كائن اولي لازم الوجود، تام الكمال، منه تُستمد الموجودات ما فيها من كمال وهذا الكائن هو الله .

وننتقدم الى ابن سينا فيقول لنا في كتابه النجاة من مقـالة الالهٰيات : « الواجب الوجود له الجمال المحض والبهاء المحض ، اذ لا يمكن ان يكون جمال وبهاء فوق ان تكون الماهية عقلية محضة برية عن كل واحد من انحاء النقص » وقـال في بدء رسالته في الحدود ما نصه : « الباري عز وجل لا حد له ولا رسم لانه لا جنس له ولا فصل ولا تركيب فيه ولا عوارض تلحقه ، ولكن له قول يشرح اسمه وهو انه الموجود الواجب الوجود الذي لا يمكن ان يكون وجوده من غيره او يكون وجود لسواه الا فائضاً عن وجوده» ووصف ابن طفيل، في رسالته الموسومة بحي بن يقظان، الله قال : « لا نهاية لكماله ولا غاية لحسنه وجماله ، وهو فوق الحسن والبهاء ، ولا جمال الا صادر من جهته وفائض من قبله » هذه عظمة الله وقد تجلت على السنة الشعراء والمفكرين من ابناء هذا الشرق العربي ، فبات على ابنائه ان ينظروا في قوى الطبيعة الخـابئة ، ويستنطقوها علماً عملياً في مختبرات العلوم والمعامل حيث تتجلى قدرة الله في خلقه ، بما استتر في كونه ، شأن رجال الغرب وقد التفتوا عن الخيال الى المحسوس فأنطقوا الطبيعة اسرارها، وظهرت عظمته تعالى في ابداع ما اوجد العقل .

لقد مضى زمن الاتكال وحده وجاء زمن الاتكال مع العمل والبحث في دقائق الكون عن طريق العقل العملي لا العقل الحدسي وصرنا في عصر لا يغني فيه الظن عن الواقع والقول عن الحدث ان عظمة الله ظهرت في الادب قديماً فعلى الادب المعاصر ان يظهر اعمال الله في عقول مخلوقاته ويجعل اثر الابداع والاختراع مظهراً من مظاهر القدرة، فالحدس المجرد عن الفكر عقيم، فعلينا ان نفكر ونعمل ، ونجد ونبحث ، منصرفين عن الاتكال وحده ، فأدب الأرض وما فيها ينتظره ادب الجيل الجديد مرددين مع احـد شعراء المهجر :

من لبس يحميه الحسام ... فليس تحميه الصلاة

عيسى ميخائيل سابا

النخلة الحزينة

بقلم الآنسة امينة قطب

كان الكثيرون من اهل القرية يعرفون قصتها ويروونها وكأنها اسطورة من الاساطير، فقد شاهد معجزاتها البعض، وسمعهـا البعض الآخر عن افواه آبائه واجداده، وكانت اسطورتهـا العجيبة تختلف بين راو وآخر، ولكنهم كانوا يجمعون على انها حزينة مهمومة، وعلى من يشك في حزنها ان يذهب الى مكانها هناك حيث المنزل المهجور ليراها وقد انحنت على الجدار المتهدم، وطأطأت رأسها الى الارض في يأس وهمود، لا تكاد تحرك ما بقي في قمتها من جريد اوشك على الجفاف، الا عندما تشتد الرياح والزوابع وتعبث بغيرها من النخيل الشاب السامق في الفضاء، فيبدو في تمايله وانحنائه يميناً وشمالاً وكأنه مجذوب اخذته الجلالة، لشدة ما تعبث به الرياح الهائجة الغضوب. بينما هي تحرك رأسها في بطء، وكأنه رأس عجوز مثقل بالهموم، وقد بدا الجريد الذابل كشعرات فانية توشك ان تقتلع وتدع الرأس المهموم اجرد من غير غطاء يقيه لفحة القيـظ في الصيف والزمهرير في الشتاء.

قال بعضهم: انها قد اصبحت هكذا منذ الليلة التي مات فيها آخر حفيد لمالك البيت الاول ذلك الذي غرست بذرتها عند مولده، وترعرعت معه وعاصر شبابها شبابه. وانها منذ تلك الليلة سمعت وهي تئن في تمايلها انيناً حزيناً، وانها عندما اصبح الصباح رأوها مائلة هكذا على الجدار، وقد ذبل بعض جريدها خلال الليل! لانها كانت تحس ان ذلك آخر حفيد لصنوها مالك البيت، وانه لم يعقب ولداً ولا بنتاً، وان البيت سيؤول الى ورثة آخرين لم يعيشوا فيه من قبل، ولم ترغب في وجودهم يوماً ما بجوارها!

وقال البعض، انها في ذلك الصباح ارخت جريدهـا الى جانبيها، ووقفت صامتة لا تتحرك يمنة او يسرة، وكأنها قد صلبت في الفضاء على الرغم من عصف الريح في ذلك الصبـاح البعيد؟

ولكن البعض الآخر ممن يحفظون اسطورتها الغريبة ويدعون العلم الصحيح بها، كانوا يرجعون بالقصة الى عهد ابعد، ويروونها من يوم ان نبتت من الارض وصار لها وجود.

منـذ مائـة وعشرين عامـاً بني هـذا البيت الكبير، وكان صاحبه رجلاً طيب القلب ميالاً للخير والصلاح، لا يحب الاذى ولا يظلم احداً. وكان صديقاً حميماً لولي من اولياء القرية الصالحين.

وذات يوم جاء هذا الولي الى بيته وكان يأكل بعض ثمار البلح فشاركه بعض تلك الثمار، ثم علم الولي في خـلال الحديث انه سيرزق بمولود بعد بضعة اشهر، وانه يدعوه لمشاركته في اختيار اسم لذلك المولود. فاختار الولي اسم طفل وأكد ان الذي سيولد سيكون طفلاً لا طفلة، وانه سيعيش وستكون له ذرية طيبة! ثم امسك بنواة آخر ثمرة من ثمار البلح الذي كان بيده وناولها له قائلاً: خذ هذه النواة واحفظها حتى تجف ثم اعطنيها لاغرسهـا لك بقرب هذا الجدار لكي تنمو مع الطفل الذي سيولد وتترعرع معه وتشاركه هو واولاده واحفاده افراحهم، واحزانهم جميعاً!.

وانصرف الولي واحتفظ صاحب البيت بالنواة وكأنها هدية ثمينة حتى اذا ما جفت وصارت صالحة للغرس اعطـاها الرجل لصديقه الولي الصالح فقام بغرسها وكان ذلك يوم (سبوع) الطفل الذي تنبأ الولي بولادته!

وما لبثت النواة ان نبتت واخذت تنمو نمواً سريعاً، وقد راح صاحب البيت وولي الله يتعهدانها بعنايتهما وصبرهمـا، وكان الولي يباركهـا ويمسحها بكفيه وراح الطفل ينمو وهي تنمـو وتزهـو اخضرارهـا وكأنها والطفـل توأمان. وبدأت كرامة الولي الصـالح تدهش من في البيت جميعاً، فقد اخذت النخلة المباركة تشارك الطفل حقاً بعض اطوار حياته، فعندما يمرض تمسي هي وتصبح فاذا هي ذابلة يميل لونها الى الاصفرار، وكأنما هي مريضة مثله، فاذا ما تماثل للشفاء راحت تخضر من جديد ويعود اليها لونها الزاهي البهيج!

.. وعندما بلغ الطفل الثامنة من عمره كان يلهو في يوم من الايام بالقرب منها هو وبعض رفاقه الاطفال، فلكمه احدهم فوقع على الارض وقد اصيب بجرح في رأسه، وفي اليوم التالي رأوها وقد تدلت جريدتان من جريدها حتى لمستا المكان الذي وقع به الطفل. وقد اعتقد الذين رأوها ان الاطفال هم الذين امالوا هاتين الجريدتين وهم يلعبون، فلما سألوا ليتأكدوا اجيبوا بأن الاطفال لم يمسوها في لعبهم، ورأوا الجريدتين ترتفعان شيئاً فشيئاً كله



تماثل جرح الطفل للشفاء !!

وظل هذا حالها وكأنها قد ارتبطت معه برباط سحري. فعندما صار شاباً في العشرين واقيم حفل زواجه، رأوها تتمايل في الفضاء طرباً على الرغم من ان النسيم كان هادئاً جميلًا لا يدفع بها الى ذلك التمايل الملحوظ. وكان سعفها وجريدهـا تحدث اصواتاً كثيرة متباينة، وكأنها تشارك الموسيقى بألحانها الربانية المسحورة! وفي ذلك العام اثمرت اضعاف ما كانت تثمر في الاعوام السـابقة. وكانت تبدو، لمن يراها في سموقها ورشاقتها، ان قلبها يمتلىء بالسعادة ويطفح بالبشر والسرور. وكان الكل يصبغون عليها صفة الآدمية ويعتقدون انها تعيش معهم بوجدانها واحاسيسها كأي آدمية حية!.

.. وعندما انتقل صاحب البيت الذي غرسها مع الولي الصالح، الى رحمة الله رأوها منكسة جريدها بضعة ايام، وكأنهـا تشارك الجميع في حزنهم وكآبتهم. وفي ذلك العام لم تطرح ثماراً، وكانت هذه اول مرة منذ ان اكتملت واثمرت! غير ان الحزن زايلها بعد هذا العام واخذت تثمر من جديد وتبسم الدنيا، فان صاحبها الذي غرست عند مولده ما يزال حياً ومايزال البيت عامراً به وبأبنائه.

وانقضت الاعوام سريعة بين يوم وليلة، وشروق وغروب، وتحول شباب صاحبها الى كهولة، ثم الى هرم، وهي في وفائها له ذلك الوفاء النادر الغريب.. وعندما انتابت الامراض صاحبها شاركته مرضه وذبوله وراحت تسقط بين يوم وآخر بعض جريدها، الواحدة تلو الاخرى.

وفي ليلة من الليـالي كانت رياح الخريف تعصف والاوراق الجافة تتطاير في طرقات القرية وتلف حول نفسهـا في سرعة واضطراب، تنذر برحيل سريع. وفي الهزيع الاخير من الليل دوّى صوت جازع من خلف احدى نوافذ البيت الكبير، وخرج الى الفضاء ينعي صاحبها الذي قضى. وعندما اشرقت شمس اليوم كان الكثير من جريدها الذابل يتساقط بين الحين والحين.

وانقضت ثلاثة اعوام لم تثمر في خلالها ثمرة واحدة. وابتدأ جذعها يميل قليلًا نحو الجدار. وبذل ابناء صاحبها جهـداً كبيراً لاحيائها من جديد، فحفروا حولها وملأوا الحفرة بالطين الخصيب ليجددوا شبابها ورونقهـا. واثمرت بعد هذا المجهود الكبير، ولكن انحناءها لم يستقم بل راح يظهر واضحاً كلما مرت الايام وتقدمت بها السنون. لقد بدأ شبابها يذوي!..

ومضت اعوام، وزحف على القرية الآمنة وباء فتاك اهلك ما يقرب من ثلث سكانها الوادعين. وهلك بين من هلك ابناء صاحب المنزل، الا واحداً منهم وكان قد بقي ليرعاها او لترعاه، وكأن الدنيا لم يرضها ما اصابه في آله واخوته فراحت تكيل له الكوارث والاحزان، حتى اضطر عقب كارثة مـالية الى بيع ثلاثة ارباع المنزل الكبير، وعاش هو في الجزء الباقي الذي احتفظ به لكي تظل النخلة في حيازته. عاش وحيداً بجوارها لم يتخذ له شريكة تؤنسه وتخفف عنه متاعب الحياة، ولم يطل به المقام في هذه الديار فقضى وقد بلغ من عمره الاربعين وكان هذا هو الحفيد الوحيد لصاحبها الاول الذي نشأ المنزل واوجدها في فنائه الرحيب.

وآل ما بقي من المنزل العتيد الى احد الورثة الاقربين، ولم يكن في حاجة للسكن فيه فاستعمله لتخزين علف الماشية وما يحتاج اليه من الحطب واعواد الذرة الجافة للوقود. ومنذ ذلك الحين اخـذ جذعها يسرع في الانحناء والذبول. واراحت رأسها المتعب فـوق حافة الجدار في حزن يائس، وكأنما يحمل هذا الرأس المكدود عبء الايام والسنين.

وكان البعض من اهل القرية يؤمن بانهـا روح ذاك الولي الصالح الذي غرسها منذ ذلك الامد البعيد. وكان اهل القرية جميعاً يحرمون على الاطفال العبث بها وبجريدها وسعفها الذي يتساقط بفعل الرياح، فهو سعف مقدس لانه بعض اجزاء تلـك الروح الكبيرة التي اودعت هذا الهيكل الجاف الحزين.

وفي ليلة من ليالي الخريف الباردة كانت الرياح تعصف بكل شيء في القرية الهاجعة في ظلام الليل الحالك المدلهم. وكان النخيل يتمايل بشدة وعنف، واصوات جريده وسعفه المضطرب تتلاقى في فضاء القرية فتبعث في الليل جلبة رهيبة، وهي تختلـط باصوات الرياح، واهتزاز اعواد الذرة الجافة التي تعج بها اسطح المنازل، ثم اصوات الملابس المنشورة هنا وهناك والتي يعبث بها الهواء فتبدو كالشياطين المتعددة الاشكال والالوان، تنتفخ ثم تنقبـض في سرعة واضطراب وسط ذلك الظلام المخيف. في الهزيع الاخير من تلك الليلة الحالكة، عندما انبعث صوت المؤذن في جلال رهيب، في تلك اللحظة استيقظ بعض اهل القرية فزعين عـلى صوت انهيار شديد، ولم يشك احدهم في ان منزلًا قريباً قد انهار، وقد انتظروا حتى يبزغ النور ليستطلعوا الخبر.. وفي الصباح كان اهل القرية يتسابقون الى منزل النخلة الحزينة. حيث ترقد هناك جثة هامدة في الفضاء المجاور للجدار المنهار..

القاهرة — امينة قطب

التعارف الروحي بين الشعوب واثره في توجيه الانسانية

بقلم احمد سويد

☆

من ابرز مميزات الانسانية ذلك الاندفاع الذاتي الذي يوجه نزعاتها نحو الوحدة، وذلك الحس العميق بالتجانس الفكري، والانسجام الوجداني بين مختلف الشعوب التي تضطرب فوق هذا الكوكب القلق الحائر.

فالبؤس الانساني بمظاهره المادية المختلفة يهز الصيني مثلاً كما يهز الزنجي في مجاهل افريقيا او ادغال اميركا، غير ان درجات هذا الاحساس تتباين بتباين المستوى الثقافي بين هؤلاء، اي اننا نستطيع ان نتخذ الوعي مقياساً لتصنيف درجات هذا الحس المشترك الذي ينزع الى اسفل حتى يبلغ درجة «التبلد» في الحالات التي يحيا الكائن الانساني فيها حياة العصور الحجرية الاولى. كما ينزع الى اعلى حتى يبلغ درجة «التبلور»، وذلك حين يقدر للفكر الانساني ان يعب في طريقه الى الكمال من ينابيع الخلود الثلاثة الخيرة: الحق والخير والجمال.

وما تاريخ الانسانية الطويل الا اضطراب بين هذين الحدين وذبذبة بين هاتين الدرجتين، وسلسلة من المحاولات لبلوغ الاهداف الانسانية العليا.. ويمكن القول ان هذه المحاولات اتخذت مظهرين متضادين مما يبيح لنا ان نقسمها الى نوعين من المحاولات: عنفية واخرى لا عنفية.

اما الاولى فقد كانت الحرب دائماً اداتها المنفذة ولكنها لم تكن دائماً واضحة الغايات، مركزة الاهداف، بل ان منها ما تجلت فيها الانفعالات الانسانية فطغت نسبياً على العوامل الشخصية الضيقة من حب للشهرة وارضاء لشهوة الفتح، وتلذذ بمغانم المجد العسكري، وحروب الاسكندر تصلح مثالاً لها، من ناحية انه كان يهدف الى تحقيق الوحدة بين الشعوب التي اخضعها، ولكنه ضل السبيل الى هذه الغاية حين اعتقد انه سيصل اليها عن طريق «تزاوج الدم» اي التعارف الجنسي ناسياً ما للتلاقح الثقافي والتعارف الروحي من اثر في توحيد نزعات الانسانية.

ومنها ما كانت الانفعالات الانسانية بعيدة عن ان تكون سبباً مباشراً لها. اي ان الحاجة لتحقيق الوحدة غير ملحوظة في مسبباتها وبواعثها. وذلك لطغيان الانانية الفردية، وما يواكبها من شهوات النزوات الشخصية. وخير مثل على ذلك يقدمه لنا التاريخ هو حروب «نابليون» ذلك النسر الجبار الذي بسط ظل جناحه الايمن في اجواء اوروبا، وحلم ان يظلل الايسر آفاق الشرق المسحورة، لينقض بعد ذلك فيستل بمنقاره الاعقف اضخم شريان لاضخم امبراطورية.

لقد كان من اليسير تجنب النكسة الروحية، لو سخر نابليون امجاده كقائد، لمثله كانسان، ولو تواضع امام كبريائه فأقام بدلاً من ذلك الممر السياسي، تعبره النكبات من الغرب الى الشرق جسراً تتلاقى عنده المدنيات وتتداخل الحضارات عن تجاذب وتجاوب وتفاعل. ولكنه اراد كفاتح، واراد بعده الغربيون — كما ارادوا من قبله — ان تكون رابطة الغرب بالشرق رابطة ممقوتة، خيوطها الاستعلاء، والاستعمار، والكره والاستثمار. فكان الشرق بنتيجة ذلك سلبياً بالنسبة الى الغرب. وكان الغرب كذلك بالنسبة الى الشرق، وكان طبيعياً ان ينتج تصادم السلبيتين تنافراً روحياً يحول دون العمل المشترك لتوحيد نزعات الانسانية.

اما المحاولات اللاعنفية فقد جاءت على ايدي فريقين من المختارين

فتميزت لذلك بطابعين : طابع ديني ، وآخر فلسفي . فالاديان والمذاهب التي بشر بها الانبياء والرسل ، والمصلحون الدينيون لم تكن تعاليمها — في جوهرها — الا قواعد للانطلاق ، ينطلق منها الفكر الانساني مدفوعاً بطاقة ايمانية ، قوية الفعالية ، خيرة الاشعاع مهما تضاءل حقلها الاشعاعي وانكمش فانها تظل على الاقل ، تنير زاوية الضمير ، وتركز في حس الانسان الشعور بانسانيته . وما من ريب في ان هذا الشعور كان ينتظم الجماعات المتباعدة اذا ما ربطتها القربى العقائدية وآلف بينها الاخاء ايلديني . ولكن الشيء الذي يؤسف له ان هذا الشعور ظل شعوراً غامضاً مبهماً ، لم يرق الى درجة « الادراك » لان السلطان الديني بسط ظاله على الجماعات ككتل تحس حاجتها الى غذاء روحي ؛ فتنساق طيعة الى حيث ترجو ان تجد هذا الغذاء . لا كأفراد يدركون ان تعاليم الدين هي آخر ما يمكن ان يصل اليه التفكير الانساني المستقيم في بحثه عن مثل يستهدفها الانسان وينظم بحسبها علائقه ، فتسمي ضوابط للتعامل ، وضمانات اكيدة للرفاه البشري . والفلاسفة الانسانيون وحدهم هم الذين استشرفوا المقصد الآلهي من تنزيـل الاديان ، وادركوا انه يجب ان يسبق الايمان ادراك هو « ايمان العقول » او ان يفضي الى الادراك ايمان شك وارتياب . والا ، فالاهواء قادرة ان تطوح في كل آن با تبنيه الانسانية ، وما توحيه اليها السماء من مثل وشرائع ومعنى ذلك انها تنتكس ، وانها تقفز الى الظلام بحماس جنوني .

وما الحروب تنشب بين جماعات او كتل كان المفروض فيها ان يلجم الاخاء الديني شرورها وحماقاتها الا نتيجة محجة مؤسفة للتقليد الجاهل والتوارث العفوي توقي الانسانية مرارة جنيهـا يوم تكتمل ثقافة الجماعات ، ويتم التعارف الثقافي بين الشعوب اذ ان الانسانية لا تطمع ان يأتي يوم تكتمل فيه ثقافة كل الافراد بل تطمع ان يزداد عدد تلك الفئة المختارة الواعية فتزداد بذلك مصادر الاشعاع الانساني . كما تطمع ايضاً ان يتاح للثقافات ان تتلاقى عند خطوط كبرى استجابة لرغبات خيرة تنبع من اغوار الارادة او المشيئة العامة ، لا كما تعودت ان تتلاقى وتتعارف تعـارفاً قسرياً فتدخل غازية يتخفى وراءها الاخضاع السياسي وشهوات الاستعمار .

وانها لطعنة في صميم الانسانية وجريمة في حق الانسان ان تستغل السياسة سمو الاديان ونبالة الفكر ، وتسخرهما لخدمة اهوائها وانانياتها متجاهلة ان ينابيع الخير هذه ، ارث مقدس للانسانية جمعاء ، كالمنارة الهادية المركزة فوق صخور الشاطىء تهدي اليه السفن الضالة دونما تميز او استثناء .

ان « تاغور » لم يكن ثورة روحية للهند وحدها وانمـا كان المثـال الكامل لسمو الانسان لان نزعاته لم تتأقلم ولم تكبت انطلاقها حدود تعارف عليها الناس ، فواصل وهمية بين الامم بل تخطتها لتنداح في مضطرب اوسع ، مداه رحابة العالم .

و « غاندي » حمل الهند الوديع ساءه كل الاساءة ان تكون علاقة انكلترا ببلاده علاقة الذئب بالحمل . فنادى بالسلبية المسالمة : باللاعنف فكان نبعة ترفد ينبوع المحبة الانسانية . لانه كره في بريطانيا وجهها السياسي واساليب ساستها ، ولم يكره فيها وجهها الانساني تطل من تقاطيعه ملامح « بيرون وشكسبير وامثالهما » !!

و « تولستوي » بريء من دمه النبل لانه جعله اسمى طينة من الفلاحين . وحارب الجندية لانها انسياق آثم نحو البربرية . وحارب الامية لانه اراد لهذا المخلوق الذي يدعونه « الانسان » ان يبصر النور ويعيه . ويتعقل تصرفاته فلا ينساق لقتل اخيه اذا مادفعته موجة شعورية تولى توجيهها الهوى !!

هؤلاء وامثالهم يصبحون ضمـانة الانسانية بالفعل يوم يعزف الناس عن تجاهل الحقيقة ، واقول تجاهل الحقيقة لانهم رغم اقتناعهم ان للحقيقة لوناً واحداً لا ينفكون يلونونها بألوان مآربهم واطماعهم .

وهذه الحقيقة هي وحدة المشاعر والاهداف الانسانية الكبرى التي يترتب على الامم والشعوب اذا ارادت لنفسها وحضاراتها السلام والطمأنينة والبقاء ، ان تتخذها منتهى غايتها ، وتستوحيها في تنسيق علاقاتها وروابطها . وليس ذلك بعسير ما دامت هذه الوحدة في صميم حسها الاجتماعي ومـا دمنا نجد في جوهر الدين وآراء المصلحين الانسانيين ينابيع غداقة بالخير ثمينة بتوفير السعادة للناس .

ان يوماً تستمتع فيه مجرية العب من هذه الينابيع ، وحرية الاتصال والتعارف الروحيين ، ليوم عظيم في حس الزمن وحس انفسنا وواقعنا لانه مبدأ لتحول مثمر تنسجم على اثره الجماعات مع خلجات الكل الروحي وتتجانس مجهودات البشرية في سبيل الاخـاء والسلام ؛ وتأنف الحكومات استخدام العنف في حل مشاكلها فيقضى بذلك على الحرب كفكرة وكوسيلة .

قد يعترض ناقد : « ان جمهورية افلاطون لن تقوم على الارض ، ولن تتحقق ابداً في دنيا الناس » فأجيبه : ولم لا نتخذها هدفاً مستحيل التحقيق ؛ ولكنه موحد للجهود ، محدد للوجهة بـدلا من ان نذكر الانسانية دائماً بظلم فرعون وطغيان نيرون ؟؟

احمد سويد

عش الدبابير

بقلم بديع حقي الدبه

[علي] هذا الكرسي الذي انت جالس عليه جلس هو ، وقد رفع كأس الكونياك وجرع منه جرعة ثم وضعه مكان هذا الصحن الذي تنفض فيه سيكارتك، وكان هادىء الاعصاب. وانا كذلك كنت هادىء الاعصاب ، لا كما ذكر نص الاتهام واقتنع به القضاة، واقتنعت به انت من انني كنت في هياج عصبي كبير . . وكان يحدثني حديثه العادي وقصته التي سمعتها من فمه عشرات المرات، قصة رحلته الى افريقيا ومغامراته في غاباتها واصطياده السباع فيها. وكنت اتظاهر بالاصغاء اليه ولكنني في الواقع لم اكن اعي شيئاً مما يقول فقد رحت افكر في امور اخرى عبثاً احاول ان اتذكرها الآن . اما هو فقد بقي مسترسلاً في سرد حكايته لا ينقطع عنها الا ليجرع جرعة من كأسه يستمد منها قوة ويندفع في الكلام من جديد .

ثم قام وتوكأ على هذه الطاولة التي تراها الى يمينك واطفأ سيكارته وعاد فجلس . ظننت انه سيختصر حديثه هذه المرة وانه ينوي السكوت، وخشيت ان يفعل ولكنه عاد سيرته الاولى عاد يتكلم على وتيرة واحدة ويتابع قصته التي اعرف كل تفاصيلها كنت اعرف انه سيصل في حديثه الى حكاية القرد الذي عضه في عنقه وكاد ان يقتله . وكنت واثقاً أنه عندئذ سيفك ياقته ويعرض على نظري اثر العضة .

لم اعد اسمع شيئاً من كلامه الا طنيناً متواصلاً يشبه الطنين الذي كان يتجاوب في رأسي عندما كنت انا بنفسي في افريقيا اتعالج بحبوب الكينا اذ تنتابني ادوار الحمى .

واخذ الطنين يعلو في اذني ويتزايد بشكل سريع وانا ارقب من صاحبي قصة القرد وارقب معها ان يكشف لي عن عنقه . وفي خلال الطنين الداوي في جنبات رأسي ادركت انني لم ادع صاحبي في تلك الليلة الا لاستعيده قصته . فقد كانت تستهويني منها تلك النشوة التي اغرق فيها وانا اسمعها من فمه فيلتبس عندئذ على سمعي وفهمي كل شيء حتى القصة نفسها وانتظر وصوله الى حكاية القرد فلا اصحو من نشوتي الا على منظر اثر العضة في عنقه وقد رفع قميصه عنها .

وارتفع الطنين في اذني عالياً جداً كأن عشاً من الدبابير هب في رأسي، ومرت على عيني غشاوة حجبت عن بصري كل شيء الا قميصه فقد بقي نظري عالقاً بها كأنني مسحور . ثم رأيت كأنه يقترب مني وكأن يديه تعبثان بياقته وتفكانها وحينئذ كلمح البرق وقبل ان يعي على شيء اخرجت موسى الحلاقة التي كانت مفتوحة في جيبي وحززت بها عنقه .

***

اقسم لك انه لم يتألم اذ لم تمر اكثر من ثانية واحدة بين سحب الموس من جيبي وسحبها على عنقه . . انتظرت طويلاً مجيء رجال الشرطة واخبرتهم انني قتلت صاحبي لانه كان يضايقني ولم ادخل معهم في التفاصيل. ثم حوكمت وقد توليت انت الدفاع عني بطريقة لم ارض عنها في بادىء الامر ولكنني الآن اقر انها كانت الطريقة الوحيدة لتخليصي من المشنقة . لقد اثبت للمحكمة انني مجنون واقرك الاطباء على ذلك فاستطعت بهذه الوسيلة ان تخدع القضاة والاطباء معاً . . بل لعلك كنت انت نفسك مخدوعاً وكنت تعتقدني في الواقع مجنوناً . ولكني سابرهن لك انني كنت مالكاً



قواي العقلية بكاملها فبوسعي ان الخص لك الدفاع الذي القيته في المحكمة ولو كنت مجنوناً يومئذ كما زعمت لما استطعت ان احفظ منه شيئاً .

لقد قلت لهم ان موكلك غير مسؤول فقد اصابه مس بعقله وانه لم يكن هنالك اي سبب لان اقتل صاحبي وان الجريمة على كل حال لم تكن مصممة بالرغم من وجود موسى الحلاقة في جيبي ساعة الجريمة دون داع فقد اكون ابقيتها فيها . وقلت لهم انني لو لم اكن مجنوناً لحاولت الهرب بدل ان ابقى بجانب الجثة ساعات طويلة انتظر حضور رجال التحقيق. ولا اعلم كيف اقتنع القضاة بهذه البراهين الواهية فحكموا بعدم مسؤوليتي وبارسالي الى مستشفى المجانين.

الواقع ان الجنون لم يخالط عقلي يوماً من الايام، والآن وقد شفيت في نظر الاطباء من مرض لم يكن الا في مخيلتهم رأيت من واجبي ان اقص عليك الحادثة كما وقعت. فلم يكن السبب في الجريمة التي اقترفتها الا ذلك الطنين المتواصل الذي كان يدوي في اذني. كنت افقد حين يملكني الطنين كل ادراك لما يحيط بي ويبقى ذهني معلقاً بفكرة واحدة تجذب جميع حواسي كأن فيها قوة من مغناطيس. وكان ذلك يؤلمني اشد الالم عندما اكون منفرداً فآخذ بالصياح بصوت حاد الى ان يخف الطنين شيئاً فشيئاً ثم يتلاشى واتلاشى انا فيه في غيبوبة قد تدوم ساعات. وانا واثق كل الثقة ان قصة صاحبي تلك كانت السبب الاول في خلق الطنين الذي اصبح فيما بعد مزمناً يعاودني حيناً بعد حين. ولذلك قررت قتله. وهذا ما لم يدركه الاطباء، ولم يدركه القضاة ولم تدركه انت .. ولذلك وضعت موسى الحلاقة في جيبي تلك الليلة ... ولذلك تظاهرت بالاصغاء الى صاحبي حتى يتولد الطنين ويتعالى ... وتنبعث بي النشوة.

***

لست نادماً على قتل صاحبي فاي انسان يتيسر له ان يموت كما مات هو دون ان يتعذب ولو لحظة... ألست على حق فيما اقول ؟ بربك ألست على حق ؟ اقسم لك انه لم يتألم ... انني أبغض الذين يفتكون بضحيتهم بعد ان يعذبوها... واحتقرهم ... واما الطنين فلا تحسب انني شفيت منه. لا ! انني احس به منذ هنيهة... ها هو يعلو ويعلو بشكل سريع ... بشكل لا يطاق ... لقد هبت الدبابير في رأسي من جديد... أليس عندك قصة تحكيها؟ عن غابات افريقيا مثلاً ؟... الم يعضك في عنقك قرد من القرود؟ ... تكلم ... اني لا احب السكوت ... تكلم، لا تخف ! ان في جيبي موسى قاطعة كتلك التي تعرف ... اقسم لك أنك لن تتألم ...

بديع تقي الدبه

ذلك الطريق

أِلفَ الطريق خطاي تقلقه مع الامس القريب
وتهداتك تبهر الاشباح في الليل المهيب
واليوم ارجع كالغريب فيزدريني كالغريب
ويظل يبسم هازئاً مني ويسخر من شحوبي
وغداً سيأخذه الحياء لما سيحمل من ذنوب
فلكم سيعبره مشوقاً نحو بابك من حبيب
ترنو العيون على مداه فتستقر على قلوب
حتى تلذ له الذنوب فلا يتوب ... ولن تتوبي

بغداد — اكرم الوتري

الم الشاعر

انا وهم ضل في الدنيا شعوري ... تائه في مهمه العمر العسير
تنهل الآهات من قلبي ومن ... روحي الظمأى الى العيش الوثير
لم ازل قطر ندى في برعم ... فمه المكموم لم يفتح لنور
لم يذر العطر من اجفانه ... علني انداح في بوح العبير
فارى كل صباح صبحي ... وارى الاطيار في الوادي طيوري

***

لم ازل انشودة مخنوقة ... في دروب، ذبلت فيها زهوري
اسأل المجهول عن امنية ... لتقيني من ظلامات سعيري
فاراها ومضة خلابة ... تتهادى بين طي ونشور
تتلاهى قسوة الدهر بها ... كلما جدت، لوتها عن مسيري

***

انا في كف زماني كرة ... لست ادري معه وجه مصيري
امنياتي كنهها ومض رؤى ... وشقائي كنهه وحي شعوري
انا احياه بفكري المنا ... سائغ الدمعة، مكبوت الزفير
الم الشاعر ما يرسمه ... فرحة تضحك في القلب الصبور
الم الشاعر ما اعذبه ... الماً يرقص اعطاف الدهور
يوقظ الانفس من غفوتها ... بين آيات نظيم ونثير
فاذا الدنيا على همسته ... دفقة الخير وينبوع السرور
خلق الشاعر للبؤس ففي ... قلق البؤس، يقين للضمير
ينهل البسمة من شقوته ... املاً يهزأ بالعيش المرير

***

فاهزئي يا شمس من روحي ومن ... ومضة الاشراق في قلبي الصغير
هذه الومضة اسمى قبساً ... منك يا شمس ومن دنيا الشرور
ان اضواءك لا اهدى بها ... انها اظلم من دنيا القبور
يهتدي الشاعر من اشراقة ... في قلب المعريّ الضرير
كم ضرير مبصر، قادالورى ... وهدى المبصر في الدرب الخطير
فليثر كالظلم تيار الاسى ... واسخري يا ارض آلامي وثوري
واحطمي كأسي في زهوته ... واعصري روحي وباقات زهوري
لست اخشاك وهل يخشى الثرى ... طائر حلق في دنيا النسور
يصدم الاحداث في وثبته ... ويذل آلاه في وثب القصور

***

انما الشاعر في آلامه ... يرتقي في طفرة الروح الكبير

كامل العبدالله

نضال

ضاق بالصمت فانفجر ... شاعر صبره انتحر
مل ما اعتاده الحجى ... من اناة ومن حذر
اي شيء يروعه ... وهو في موطن الخطر
غاض في قلبه الرجا ... فاض في نفسه الضجر
فادلهمت سماؤه ... لا شعاع ولا شرر
اين ما نقل الخطا ... فالجلاميد والحفر
غده بعض يومه ... يومه بعض ما غبر !
سيلاقي مصيره ... لزم الصمت ام هدر !
فتحدى بيأسه ... ما سيقضي به القدر !
ان يكن خاب ما ارتجى ... وطوى الجور ما انتظر،
فهو ذيالك الفتي ... ليس من شأنه الخور
مستمد من الاسى ... قوة تلهب الحجر !
صار حتى مع الردى ... لا يبالي اذا اشتجر
شاعر في فؤاده ... غضب الثورة استعر
غير اسعاد قومه ... ما له في المنى وطر
خيره بعض خيرهم ... لم يغرر به اشر

ذلك الحـير صورة | ان تماحت فما الاطر؟
ان يشح عن هومهم | فهو بالفن قد كفر !
كل فن اذا انزوى | مات في «البرج» فاندثر

بغداد — ابراهيم عوبديا

همسة الشاطىء

ايها الليل ترفق بهوانا | نحن طيفان هبطنا من سمانا
همسة الشاطيء لم ترفق بنا | ونسيم الفجر لم يكتم شذانا.
قم حبيبي عصف الشوق بنا | نترع الآفاق سحراً وافتتانا
ها هو الزورق مستلق على | سـاعد الموجة يهفو للقانا
نحن في ثغر المنى انشودة | نرقص الكون على لحن صبانا
سكر الليل على انغامنا | سكرة افضت له سر منانا.
اطرق الموج لالحان الصبا | ورمال الشط اصغت لخطانا
والصبابات ترامت حولنـا | وعروس الافق ذابت ارجوانا.
آه يا قيثارة الفن اشهدي | كلما رنَّ على الافق صدانا
قد سمونا فوق معراج الهوى | وتركنا الارض غرقى في هوانا

مصطفى عبد ربه

انشودة النواسي

هـدأ الليل نديمي | وانجلت هوج الرياح
واطل البدر نشواناً | على البيد الفساح
والوريدات اذاعت | في الفراديس الفواح
وشدا البلبل مسروراً | على الايك وصاح :
إشرب الراح وعجل | قبل ان يأتي الصباح

***

غمر الليل الروابي | والفيافي والتخوم
والمصـابيح تبدت | مثلمـا تبدو النجوم
ودوى صوت بشير الانس | من بين الغيوم :
ايها الانسان ان العيش | حلم لا يدوم
فاشرب الراح وعجل | قبل ان يأتي الصباح

***

إترع الكأس نديمي | بالشراب المستطاب
(واسقني حتى تراني | احسب الديك غراب)
فلو ان الشيخ قد عا | دَ لما عاب الشباب
غفوةٌ عمر الاناسي | يقظةٌ (يوم الحساب)
فاشرب الراح وعجل | قبل ان يأتي الصباح

***

دق ناقوس الندامى | داعياً حزب الدنان
قم الى الحانة –لطفاً– | ان وقت الشرب حان
خمرة صفراء اشهى | من فتيت الزعفران
انهرٌ منهـا طوال | جاريات في الجنـان
فاشرب الراح وعجل | قبل ان يأتي الصباح

بغداد — حسين حاتم الكرخي

الاسيرة

عذرتك في انتحال العذر لمّا | تلاقينا على غير انتظـار
فقد ابصرت في خديك لوناً | يدل على الحياء المستعار
بلغت من التلون كل شأو | فكدت اشك في لون النهار
حنانك اين عهد الحب ليلى | وقولك «لست املك بالنضار»
حسبتك حرة النزعات حتى | رأيت الزند كُبل بالسوار
عذرتك فاعذري قلباً رحيماً | يحاذر ان يراك من الجواري
فكم من «حلقة» للذل رمز | و«اسورة» تشير الى الاسار

وديع ديب

اغنية بغداد

اين يا بغداد احلام الليـالي الغـابره
يا ابنة الشرق ويا مهد الطيوف العابره
رددت اصداءك الوسنى اللحون الساحره
وترامت من وراء البيد تهفو بالاماني الزاهره
وسرت في الكون سكرى بشراع من خيال
ساحر الخفقة محفوف بهالات الجلال
لم يزل يسكر بالفتنة عشاق الليالي
كلما هلهل صداح وغنى بتسابيح الجمال

اين عري الشعر في ذوب الضياء الازرق
وذهول الروح في تيه سماء المشرق
يتهادى الوحي في وهج سناها الشيق
فيغنيه نجي الليل للزهر الشذي العبق
في رياض عذبة الاسحار فيها العطر ذرذر
والندامى بين خفقات صنوج وكؤوس تتنور
والملاح البيض يخطرن على اصداء لحن يتكسر
كل سكرى من لماها خمرة الاقداح تسكر

***

اين من افقك هاتيك القباب الحالمه ..
تسكب الفتنة في همس الظلال الغائمه
والقناديل ارتعاشات قلوب هائمه
ساهدات الطرف في صمت الدروب النائمه
وصدى البحار في دجلة خفاق الجناح
يتهادى بهم الزورق في تيه الرياح
هجروا المجداف وانسابوا بأجواء مراح
وطووا الليل على رفة اضواء الصباح

***

اين يا موئل نور الفكر عهد المبدعين
يا منار المجد للكون وهدي التائهين
حومت في افقك البوم اخاييل السنين
فذرفت الدمع في ذكراك مشبوب الحنين
للمي يا جنبات (الكرخ) تلك الذكريات
ايها في افقي المخمور اطياف صلاة
هات ما شئت فاني ملهب الاشواق هات
يا بقايا نغم مات بانفاس الحداة

بغداد — كاظم السماوي

المد والجزر

مهداة الى الشاعر ايليا ابي ماضي

على هذه الكرة الطافيه — ببحر الزمان العديم الحدود
تحركنا قوة خافيه — فنهدم سداً لنبني سدود
ونمضي مع الجزر حتى نعود — مع المد في صورة ثانيه !
وفي هذه السبل الداجيه — نسير بلا غاية او هدى
تساورنا الحيرة القاسيه — فنصرخ : ماذا سنلقى غدا ؟
ويمضي السؤال ليأتي الصدى — يسائلنا مرة ثانيه !
وبين اختلاج الرؤى الداميه — وصبوة انفسنا لليقين ..
نجسد احلامنا الواهيه — بأصنام آلهة من عجين
تجف فنأكلها بعد حين — لنضع آلهة ثانيه !

بغداد — رشيد ياسين

الم

آه من همي واحزاني وآلام الحياة
آه من جرحي وما اخفي وراء البسمات
ويح لي من لوعة الذكرى وشؤم الذكريات
ويح لي من خافق حان له اسمى الصفات
ويح لي مما جناه البؤس في اركان ذاتي
ان من عيني يا لؤم الورى خمر الجناة
سوف تزهو في السحيق الجدب ابهى زهراتي

***

يا شقاء الارض هل حطمت معنى كبريائي
انت مسكين اذا حاولت ان تنذو ابائي
مشرق كالسيف في ليل الاسى صلب قضائي
وعزائي انا لا اطلب في الدنيا عزائي
متعب دائي ، ومن دائي في الدنيا دوائي

***

اضحكي ياارض انت اليوم فوق النيرات
فيك ما يغري بتحطيم العلى والمكرمات
غليان في دمي يا ارض هل ثارت اناتي
ذبحوا الطير والقوه الى سبع الفلاة

***

ويح لي من طائر حلو رقيق النبرات
شارد هيمان لا يدري بوقع الكارثات
سوف يرميه الذي يرعاه رمي الحشرات
آه من جرحي يكاد البؤس يبكي في حياتي

اللاذقية — عزيزة هرون



مرآة الضمير الحديث

للدكتور طه حسين — ١٦٠ صفحة — دار العلم للملايين — بيروت

يستطيع العرب ان يطاولوا بالدكتور طه حسين ادباء الغرب اللامعين ، فهو الرجل الذي اجتمعت فيه صفات الاديب الحق من ثقافة واسعة وشخصية فذة وتفكير عميق وذهن متوقد وشعور مرهف وخلق كريم وحرية في الرأي والتعبير . وهو ابو الادب العربي المعاصر دون منازع ، بعثه بعثاً جديداً ، ونفخ فيه روح الحرية والصدق والابداع ، فما من اديب مجدد يستطيع ان ينكر اثر طه حسين في ادبه وفي حياته جميعاً ، وما من مفكر متنور يستطيع ان ينكر انه استنار بالمشعل الهادي الذي رفعه طه حسين وجاهد في سبيله عشرات السنين .

ولا ريب في ان طه حسين لم يبلغ هذه المكانة في قلوب الاجيال العربية المتعاقبة لروعة فنه وطرافة تفكيره وجمال اسلوبه وحسب ، وانما بلغها لان فنه وتفكيره واسلوبه تقوم على اساس وطيد من الحرية والاصالة والسداد والتقدم المطرد والتجدد المستمر وتصدر عن نفس نبيلة تمتاز بصلابة الخلق ونقاء الضمير ولا تداخلها شائبة من شوائب التدجيل والتهريج . وهذا الاساس الذي يقوم عليه ادب طه حسين ، وهذا المصدر الكريم الذي ينبع منه ، هما السر في بقاء طه حسين على القمة بينما انحدر الى الحضيض اكثر الادباء الكبار الذين رافقوه في نشأته الاولى ، وهما السر في الحاح القراء على ادب طه حسين يقرأونه ويترقبونه ويتشوقون اليه ، وهما السر في ان اسم طه حسين قد تحول لدى احرار العرب الى رمز رفيع .

يؤلف ادب الدكتور طه حسين في مجموعه صورة للعصر الذي عاش فيه وللبيئة التي احاطت به ، بما في هذا العصر من قلق وتطلع الى الاستقرار ، وبما في هذه البيئة من قيود ورغبة في الانعتاق ، تنعكس كلها في نفسه الملهمة وتتفاعل معها ، ويجري بها قلمه البليغ صوراً رائعة تجمع بين المتعة الفنية والتوجيه الحكيم . وفي كتابه الاخير « مرآة الضمير الحديث » الذي اصدرته دار العلم للملايين منذ ايام ، فصول شائقة من هذا الادب الصادق الحي ، اوحاها الفكر النير وجلاها البيان الانيق .

اصدقاء جمعت بينهم مطامح الشباب ، في بيئة للشر فيها صوره منكرة ، فتعاهدوا على الكفاح في سبيل العلم والحق والخير ، وعاشوا ردحاً من الزمن اخواناً أوفياء ، ينظرون الى المستقبل في ثقة بالنفس وايمان بالاصلاح وشغف بالمثل العليا . ثم فرقت الايام بينهم ، فسار كل منهم في السبيل الذي يتلاءم مع سجيته وطبقته ومذهبه في الحياة . فمنهم من عرضت لهم المفاتن ونصبت امامهم المغريات فاندفعوا وراءها متنكرين لكل ما يقصيهم عنها من رأي ومن يحول بينهم وبينها من صديق ، ومنهم من مسخوا جرذاناً او حيوانات اخرى ليست احسن حالا من الجرذان تقمصت نفوسها اجسامهم ، ومنهم من بقي اميناً على مبادئه وفياً لاصدقائه ، فاذا باخوانه ينفضون عنه منذ دار به الزمان ونأى عنه السلطان ونظروا فلم يجدوا عنده منفعة ولا مأرباً .

لقد علم هذا الصديق الوفي ان المرء خليق ان يختار بين اثنتين « فاما ان يستبقي ما نشأ عليه من خلق ، وما فطر عليه من مزاج ، فيمتنع على الغواية ، ويقاوم الاثم ، ويصون نفسه من ان يكون سلعة تعرض للبيع والشراء ، ويعلم اخلاقه من ان يكون في المساومة من ارتفاع الاثمان وهبوطها ، واذن فأيسر ما يجب عليه اذا اختار هذه الخصلة ، ان يرضى بالقليل ، ويقنع باليسير ، ويروض نفسه على غدر الصديق وخيانة الاخوان ، وتحول الرفاق وتنكر الخلان . يلقى ذلك باسماً له وساخراً منه ان كان من اولى العزائم الماضية والهمم العالية ، ويلقى ذلك شقياً به محزوناً له ، ولكنه يحتمله على كل حال ، ان كان من الصادقين الذين لم ترتفع نفوسهم الى منازل النابغين والافذاذ . واما ان يدور مع الزمن ويساير الحياة ، ويختطف اللذة حين تساق اليه ، ويعرض نفسه للبيع فيبيعها بالثمن الغالي ان اتيح له ، وبالثمن الرخيص ان لم يجد بداً من قبول الثمن الرخيص » .

وقد اختار الخصلة الاولى فلقي في ذلك كثيراً من الاذى ، وصبر على كثير من المكروه ، ورأى اصدقاءه من حوله يبتعدون عنه واحداً بعد آخر حتى وطن نفسه على فقد الصديق ، الصديق الذي لم يختطفه الموت وانما اختطفته المنفعة .

هذي هي القصة التي يرويها لنا الدكتور طه حسين في كتابه

الجديد . وهي قصة رائعة حقاً ، ليست من ذلك النوع الذي اعتدنا قراءته في الايام الاخيرة . هي قصة المجتمع المصري ، والمجتمع العربي ، بل كل مجتمع حديث في كل قطر تسيطر فيه المادة على حياة الانسان سيطرة عمياء ، فتشوه من تفكيره وخلقه وتجعل منه آلة مسيرة تعمل في نظام جائر سعادة، المرء فيظله مشتقة من شقاء الآخرين .

ذلك ان الاشخاص الذين تحدث الدكتور طه حسين عنهم او تحدث اليهم ، سواء أكانوا اناساً من لحم ودم او من ابداع مخيلته الولود ، فانهم يجسدون اشخاصاً نعرفهم في مجتمعنا العربي ويمثلون فئات معينة فيه ، وقد نوه الدكتور بذلك اذ قال مخاطباً احدهم بعد ان تساءل لماذا يكتب اليه كتابه وقد انقطعت الاسباب بينهما : « لسبب يسير جداً وهو ان امثالك في الناس كثيرون بل اكثر جداً مما تظن ، فليس هذا الكتاب الا مرآة لن تكون انت الشخص الوحيد الذي يرى نفسه فيها » .

فهنالك اصحاب السلطان الذين يحذرهم من ان تقع لهما في نفوس الناس مهابة تقوم على الخوف والبغض ولا تقوم على المحبة والتجلة ، لان ذلك شر ما يتعرضون له « فالحب لا ينال بالقسوة، والنصح لا يكتسب بالظلم ، وليست اشاعة الثقة وسيلة الى اكتساب الود ولا الى اصطفاء النفوس » وهو يقول لصديقه منهم، وقد علم انه امر الا يذكره الادباء فيما يكتبون وينظمون الا بالخير : « وانت بعد ذلك لا تستطيع ان تغل الالسنة المنطلقة، ولا ان تحطم الاقلام المشرعة ولا ان تمنع القلوب من الشعور والعقول من التفكير ، فدع الناس وما يشاءون ان يقولوا فيك من الخير والشر، ومن الحمد والذم، وانتفع بذلك كله في اصلاح نفسك وفي تجنب ما يشينك الى ما يزينك» الى ان يقول: «ولست بخير من عمر وقد قال للناس : من رأى منكم في اعوجاجاً فليقومه ! فقال له قائلهم : لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا . وقد لام اللائمون عثمان ، فقبل اللوم ، واعتذر من الخطأ، وتاب الى الله من السيئات . فما انت بخير من عمر ، وما انت بخير من عثمان ، وما انت بخير من رسول الله وقد رضي ان ينصف من نفسه » .

وهنالك الوشاة الذين يطلبون من صاحب السلطان « ان يخصهم بصفو نفسه وصدق وده وشامل معروفه ، ولا يعطونه من انفسهم الا الكدر والرنق ، ولا يمنحونه من ودهم الا التكلف والرياء ، ولا يهدون اليه من معروفهم الا تربص الدوائر به وانتهاز الفرص فيه ، وانتظار اليوم الذي يتحولون فيه عنه الى من ينافسه ويناوئه . فهم يعرضون قلوبهم ونفوسهم وعقولهم وضمائرهم للبيع ويقبلون ما يعرض عليهم لها من ثمن . فاي الناس ارضاهم مالوا اليه ، واي الناس قصر في ارضائهم انحرفوا عنه وتألبوا عليه . ثم هم بعد ذلك لا يحفظون وداً ، ولا يرعون حرمة ، ولا يذكرون جميلاً » وهو يصفهم ابرع وصف ويحذر صاحبه منهم حذراً شديداً فيقول له فيما يقول : « ومن حقك على نفسك ، ومن حق الناس عليك ، ان تتهم الذين يسعون اليك ، ويطيفون بك . فان اتهام فريق من الناس والتثبت قبل الاستجابة الى ما يدعونك اليه ، خير لك واسلم عاقبة من ظلم البريء ، والاساءة الى المحسن ، والاحسان الى المسيء ، والتجاوز عن المجرم . وقد امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ان يتثبتوا ان جاءهم فاسق بنبأ ، مخافة ان يصيبوا قوماً بجهالة فيصبحوا على ما فعلوا نادمين» .

وهنالك المراءون الذين يظهرون غير ما يبطنون، فهو يقرعهم تقريعاً شديداً ، ويقول لهم : « ليس يجمل بكرام الناس ان يجيبوا كلمة « لا » اذا خلوا الى انفسهم ، وان يقولوا « نعم » اذا لقوا اصحاب الجاه والسلطان . وليس يجمل بكرام الناس ان يتحدثوا حديث الاحرار ويسيروا سيرة العبيد . وليس يجمل بكرام الناس ان يناقضوا الى هذا الحد بين ما يعتقدون في دخائل نفوسهم واعماق ضمائرهم ، وما يظهرون من سيرتهم حين يعاشرون امثالهم من الناس » .

وهنالك المسوخ الذين تقمصت اجسادهم انواع الحيوان ، فهذا رجل وثب الى ارقى مما يطيق « فأصبح اشبه بالديك الذي يوضع موضع النسر ويراد على ان يحلق في اشد الاجواء ارتفاعاً ، وليس هو من هذا التحليق في شيء ، وانما قصاراه شرف متواضع ، يرقى اليه ليستقبل الصباح بالصياح ، ولينفش ريشه كلما اتيح له ان ينفشه » وهذا ثان« نثرت الحياة امامه اشواكاً فاشفق منها، ونثرت امامه ازهاراً فتهالك عليها . نشرت امامه الهول فخاف، ونصبت امامه المغريات فاندفع . وما هي الا ان تتصور نفسه بهذه الصورة المرنة اللينة ، التي لا تثبت لشيء ولا تمتنع على شيء ، وانما هي تجزع للنبأة اليسيرة وتستجيب لايسر المغريات ، تفر عند الفزع ، وتقبل عند الطمع ، والغريب انها على ذلك كله ترى في نفسها الخير ، وتؤمن لنفسها بالحكمة ومضاء العزم . قيل لها ذلك فصدقته واطمأنت اليه ، ولم تنس الا شيئاً واحداً ، وهو انها تبعت احداث الحياة ، وتأثرت بها ، في غير مقاومة ، حتى اصبحت اشبه شيء بالكلب، ان تحمل عليه يلهث وان تتركه يلهث» وهذا آخر

كان اصحابه يتوهمون فيه البراءة والسذاجة وسلامة القلب ، ثم كشفت لهم الايام عنه ، فعرفوا انه «لم يكن الا كثيباً من هذا الرمل السهل الهين ، الذي تغوص فيه الاقدام ، ويعبث به ايسر النسيم ، وان في هذا الكثيب المهيل ، حية تهدأ فتحسن الهدوء ما جنها الليل ، ثم تسعى فتحسن السعي ما اضاءت لها الشمس ، وهي في اثناء سعيها وهدوئها موفورة السم حديدة الناب ، تأزم فتحسن الازم ، ولا يدنو منها احد الا اصابه من سمها حظ موفور» على ان هؤلاء « لم يتفردوا بما كتب عليهم من المسخ ، وانما هي محنة عامة يمتحن الله بها هذا الوطن البائس في كثير من بنيه ».

وهنالك اصحاب النعيم واصحاب الجحيم . فاما اصحاب الجحيم فهم صنف واحد من الناس يشقى ليسعد الآخرين بدم قلبه وعرق جبينه .. هم «الجائعون الضائعون، والبائسون اليائسون، والمأزومون المحرومون ، الذين لا يحفل بهم احد ولا يحفلون بأنفسهم . وانما عرفت الدنيا وعرفوا معها انهم قد ارسلوا الى الارض، ليتجرعوا فيها الشقاء غصصاً ، وليصادقوا فيها الآلام منذ يقبلون على الحياة الى ان يخرجوا منها » .. واما اصحاب النعيم فهم اشتات الوان، وفي هذا الكتاب منهم نماذج عدة لو ان الاستاذ العميد قد ابدعها من حجر لكانت حرية بان توضع في اعظم المتاحف . فمنهم صاحب القلب المقفل « الذي لا ينفذ اليه شعور بالتضامن او حاجة الى التعاون ، والذي لا تصل اليه رحمة حين يحتاج الناس الى الرحمة ، ولا رفق حين يحتاج الناس الى الرفق ، ولا رثاء حين يحتاج الناس الى الرثاء » لقد حصن نفسه بهذا القلب الصخري الذي لا تعمل فيه المعاول ، ووضع عليه قفلا ذهبياً مرصعاً ليملأ القلوب الاخرى التي لم تصور من صخر وانما صورت من لحم ودم ، حزناً ويأساً وحقداً وحسداً . وراح ينظر الى هذه القلوب المحترقة الممزقة في كثير من الكبرياء والازدراء ، قائلا لنفسه : « لقد صرف عني هذا الشر وعدل عني بهذا البؤس، واريد ان احيا هذه الحياة الحلوة التي تشتق حلاوتها مما يحيط بها من مرارة ، اللينة التي يستخلص لينها مما يحيط بها من شدة ، الناعمة التي يستصفى نعيمها مما يحيط بها من البأساء».

ومنهم ذلك المصري الذي يقيم في فرنسا حراً طليقاً وموفقاً سعيداً « يأتيه المال كثيراً موفوراً من مصر ، ويأتيه النعيم كثيراً موفوراً من فرنسا ، لانه يقدر بالمال المصري الذي لا يجده اكثر المصريين ، على ان يحصل من النعيم الفرنسي ما لا يجده اكثر الفرنسيين . فهو ناعم على رغم المصريين والفرنسيين جميعاً . يستخرج له المال المصري من شقاء مواطنيه ، ويستخرج له النعيم الفرنسي من شقاء مضيفيه . وهو مع ذلك ساخط على أولئك وهؤلاء ، لا يرضى عما يجري هنا ، ولا يطمئن الى ما يجري هناك . ينكر المصريين لانهم لم يبلغوا من رقيهم المادي والعقلي ما بلغ الفرنسيون . ولانهم لا يستطيعون ان يوفروا له من وسائل الترف والدعة والامن ما يوفره له الفرنسيون . وهو من اجل ذلك يهجرهم ويهاجر من ارضهم ، ويكتفي منهم بأن يزرع الزارع ويصنع الصانع ، ويجوع الجائع ويبتئس المبتئس ويشقى الشقي ، لتجتمع له الوف من الجنيهات تتبعها الوف ولتحول له هذه المقادير الضخمة من المال ينفقها فيما يجب من وسائل الترف ، ومواطنوه في شظف من وسائل الراحة والنعيم ، ومواطنوه في عناء وشقاء . وينكر الفرنسيين لانهم لا يخضعون للسلطان كما يخضع له مواطنوه ، ولا يستكينون للقوة كما تعود ان يرى الناس يستكينون لها من حوله في مصر ، ولا يعبدون عجول الذهب كما تعود ان يرى الناس يعبدون عجولا ذهبية كثيرة على ضفاف النيل » .

ومنهم أولئك الذين ادركهم الوباء وهم في مصر ، فأحال نعيمهم جحيماً ، واذا هم « مولهون مفزعون قد دخل الروع عليهم دورهم وقصورهم » فملأها ذعراً ورعباً ، ثم اقتحم عليهم قلوبهم وضمائرهم فملأها جزعاً وهلعاً واشفاقاً . . فهم لا يفكرون في المال ولا في الترف اذا استيقظوا ، ولا يحلمون بالمال ولا بالترف اذا ناموا وانما يفكرون في الوباء ايقاظاً ، ويحلمون بالوباء نياماً . كل همهم ان يفلتوا من الوباء ، وما وجدوا الى الافلات منه سبيلا . فهم من هذا الخوف المتصل الملح في جحيم ، وهم في جحيم آخر لعله ان يكون شراً من جحيم الخوف ، هم يجدون في ضمائرهم ، بل في اعمق الاعماق من ضمائرهم ، حسرة ضئيلة ولكنها ملحة ممضة ، مصدرها اصوات يأتيهم بها الجو من كل مكان ، حتى تأخذهم من جميع اقطارهم ، وحتى لا تصل الى نفوسهم من الآذان التي تصل منها الاصوات الى النفوس فحسب ، وانما تصل الى نفوسهم من كل طريق ... تصل الى نفوسهم من طريق العيون والانوف وسائر الحواس . وكل هذه الاصوات تنبئهم بانهم يعيشون في جو من الحسد والبغض والحقد والحفيظة والموجدة ، لا ينفقون درهماً ولا ديناراً الا احصاه عليهم من حولهم من الناس ، ولا يستمتعون بلذة من اللذات الا سجلها عليهم من حولهم من الناس ، ولا يطعمون طعاماً ولا يشربون شراباً ولا يتخذون ثوباً الا تمنى الناس من حولهم لو اتيح لهما ان يشاركوهم في بعض ما يطعمون ويشربون ويلبسون» .

وهنالك غيرهم كثيرون ..

وقد وضع الدكتور فصول الكتاب في رسائل قال انها وقعت له ولم يعرف كاتبها ولا من كتبت اليه ، وكتب الرسائل الاربع الاولى باسلوب الجاحظ فوفق توفيقاً كبيراً ، على اني قد وجدت في الرسائل الاخرى ، تلك التي اطلق فيها العميد نفسه على سجيتها وكتبها باسلوبه الصافي المضيء السيال ، من المتعة والحياة والقوة فوق ما وجدته في تلك . وفي اعتقادي ان ذلك امر بديهي لا يحتاج الى جلاء .

واريد ان اقف قليلا عند اسم الكتاب، فالدكتور طه حسين قد سماه: « مرآة الضمير الحديث » يريد بذلك ان فصوله بما تكشف عنه من عيوب ونقائص انما تعكس صورة الضمير الحديث. ولست اوافق الدكتور على هذا، لاني لا اعتقد بان هؤلاء الاشخاص الذين صورهم لنا بلا اخلاق ولا ضمائرهم الذين يمثلون الضمير الحديث .

ان هذه العيوب والنقائص قديمة جداً ، والضمير الحديث الذي استيقظ وتمرد وهتف هتاف الحرية ، هو الذي رآها وكشف عنها وردها الى اسبابها الاجتماعية التي تزول بزوالها . وهذا الضمير اليقظ الحي انما تمثله النواحي الايجابية في الكتاب بومضاتها الرائعة التي تغذي الذهن المتطلع وتهدي المجتمع الضال .

واول صفات الضمير الحديث التفاؤل والايمان بالمستقبل والنظر الى العيوب والنقائص والمظالم التي عالجها الدكتور ، على انها زائلة حتماً بتطور المجتمع وتقدم الانسان ، وهي صفات بارزة في هذا الكتاب . فطه حسين يعتقد ويتبنوه بان « الزمان لا يثبت ، وانما هو منطلق دائماً ، وان الايام لا تستقر ، وانما هو نهار يتبعه نهار ، والاحداث في اثناء ذلك تحدث ، والخطوب في اثناء ذلك تلم ، والنوائب في اثناء ذلك تنوب، والوزراء يولون ويعزلون ، والحكام ينصبون ويتصرفون ، والدنيا تقبل وتدبر ، والحوادث تحاوَرُ ، والرجل اللبيب من اعتبر بهذا كله فلم يسرف على نفسه، ولم يسرف على الناس، ولم يقدم بين يديه من العمل ما يسوءه في الدنيا ويخزيه في الآخرة » .

وهو يرى « ان ضمائر الايام تحفظ للناس من اسرار الغيب ما يحبون وما يكرهون ، وتدخر لهم من الاحداث ما يعرفون وما ينكرون . فمن اتيحت له القوة قد يقدر له الضعف ، ومن مكن له في الارض قد تنبو به الدار ، ومن ابتسمت له الايام قد يعبس له الدهر . النعمة وديعة في ايدي اصحابها قد يطلبها من استودعهم اياها ، والقوة عارية في ايدي الاقوياء قد تؤخذ منهم لترد على الضعفاء » .

ولقد نقلت لك منذ قليل شيئاً من حديث القلب المغلق الذي وضع عليه صاحبه قفلاً ذهبياً مرصعاً ليملأ القلوب المحترقة الممزقة حزناً ويأساً وحقداً وحسداً ، فانظر الآن كيف يخاطب الاستاذ العميد صاحب هذا القلب فيقول له : « انك ترى في الارض انهاراً تجري وينابيع تفيض ، وانك تستغل هذه الانهار الجارية وهذه الينابيع المتدفقة لتمعن في لذاتك وتزيد الى شرائك شراء ، فهل علمت كيف تفجرت هذه الينابيع ؟ وهل علمت كيف انشقت الارض عن هذه الينابيع ؟ وهل علمت ان قلبك، مهما يكن حظه من الصلابة والصلادة ومن الاصمات والقسوة، لن يستطيع مقاومة الاحداث ، ولا ان يثبت للخطوب ، ولا ان يحتفظ بهذا القفل الذهبي المرصع الذي علقته الك الايام عليه؟ ان الحوادث والخطوب تعبث بالقلوب مهما تكن قسوتها ومهما تكن اقفالها . وان ساعة من الدهر تأتي على هذه القلوب الصلبة الصلدة المصمتة فتذيبها او تحيلها هباء تذروه الرياح . انظر ، لقد كانت قبلك قلوب صلبة صلدة مقفلة قد احتبست من الوان اللذة والاثم ، ومن ضروب الطمع والجشع ، ومن خصال الاثرة والبخل : ما لا يحصى ولا يوصف . ثم اتت عليها هذه الساعة من ساعات الدهر فذهبت بها وباصحابها . وهذه الساعة آتية عليك وعلى قلبك فذاهبة بك وبقلبك الى حيث يذهب الناس ثم لا يرجعون » .

ومن صفات الضمير الحديث انه يقف في معترك النضال موقف الصلابة والثبات ، وانه يسير مع تيار الحياة المتطورة ، وانه لا يتراجع امام المصاعب والعقبات بل يذللها ويظهر عليها، وكذلك يقول الدكتور طه حسين : « ان هذه الازمات التي تلح على الناس منذ أول هذا القرن تلقي عليهم دروساً فيها الخوف وفيها الاغراء، فيها اليأس وفيها الرجاء ، فيها انتهاز الفرص وفيها الثبات على الخلق الكريم » .

ويقول : « ان الفرد لم يخلق لنفسه وانما خلق لمواطنيه ، وان الامة لم تخلق لنفسها وانما خلقت للانسانية ، وان الحياة قصيرة فيجب ان تنتهز لتحقيق النفع وتعميم الخير وترقية الحضارة واقرار العدل. ذلك أجرى ان يمد قصيرها ويصل منقطعها ، ويجعل زائلها خالداً وباطلها حقاً ، والمنقضي منها متصلاً » .

ويقول ايضاً : « ولكن طريق الحياة لا تستقيم الا لاولي العزم من الناس ، أو قل انها لا تستقيم لاحد وانما يكرهها اولو العزم من الناس على ان تستقيم، يقتحمون ما يقوم فيها من العقاب، ويرتفعون عما يعترض فيها من دواعي المحنة والفتنة والفساد » .

ومن صفات الضمير الحديث أخيراً، بل اولا ، الشغف العميق

بالحرية ، والايمان بأنها الشرط الأول لكل رقي فردي او تقدم اجتماعي ، سواء في ذلك الحرية الادبية او الحرية الاقتصادية، بل ربما جاءت الحرية الاقتصادية في المقام الاول لان الناس يحصلون معاشهم اولا ثم يفكرون ويحلمون ، وان افكارهم واحلامهم لتتأثر الى حد كبير بما يلابس تحصيل معاشهم من نضال عنيف او هادىء ، ومن استغلال لعملهم او انصاف لهم فيه. والدكتور طه حسين يذهب هذا المذهب في غير مكان من هذا الكتاب، وفي الفصل الذي دعاه «صحائح الانباء» دفاع رائع عن حرية الفكر وحرية العلم يذكرك بسخرية الجاحظ وتهكمه اللاذع المركز تذكرك الفصول الاربعة الاولى من الكتاب باسلوبه الفخم وبيانه الجزل. وفي الفصل الذي سماه « الحرية اولا » وضع الاشياء والقيم حيث يجب ان توضع ، فقرر ان تنشئة الذوق الفني في نفوس الشباب لا بد ان تسبقها الحرية التي هي روح الفن وقوام الذوق ، واشار الى القيود التي تحول دون الشباب والذوق الرفيع ، وقال: « حرر الشباب قبل كل شيء ، ولو تحريراً موقوتاً من هذه القيود كلها أو بعضها. دعهم يفكروا كما يريدون . وارشدهم بالقدوة الصالحة والاسوة الحسنة والنصح الرفيق. وثق بانك ان فعلت اعددت نفوسهم للذوق الرفيع احسن اعداد وأقومه » ثم قال : « وليس كل الناس ميسراً للفن، وليس كل الناس قادراً على التفوق والابتكار. وأول ما يجب لذلك ان يتاح للشباب ، وللشباب خاصة، ما ينبغي لهم من الحرية التي تفتح قلوبهم وعقولهم وضمائرهم لكل ما في الحياة من خير وشر ، ولكل ما في الحياة من حسن وقبح ، ولكل ما في الحياة من حب وبغض ، ليقبلوا عن اختيار لا عن اضطرار ، وليحبوا ويبغضوا عن رضا لا عن اكراه. فاذا لم تتح لهم هذه الحرية فلا تبتغ منهم خيراً ، ولا ترج منهم نفعاً ، ولا تنتظر لهم تفوقاً ولا ابتكاراً ، وانما انظر اليهم كما تنظر الى الرقيق المسخرين، والى الحيوان الذي تدفق غرائزه ويجد من حريته سلطان المستأنسين له المنتفعين به، فيما يحاولون من المآرب والاغراض» ثم قال « ولكن اي شيء اعسر من ان تجعل الشباب احراراً . ان التقاليد الموروثة ، والتقاليد المستحدثة ، وسلطان الحكومة ، وسلطان الجماعة ، وظروف الحياة كلها في هذا الوطن البائس، تأبى على الشباب ان يكونوا احراراً » ثم قال : « ثم لا تنس انك لن تمنح الحرية للشباب حين تضع عنهم اصرهم والاغلال التي تثقلهم من التقاليد والظروف ، فقد ينبغي ان يعيش الانسان قبل ان يكون حراً ، وقد ينبغي ان يعصم الانسان من الحرمان ليعيش .. فحرر الشباب من البؤس والجوع وهمّ التفكير ، فيما يقيم الأود ، وحررهم من الجهل ، وأتح لهم علماً وأدباً وثقافة ، ويسر لهم بعد ذلك ان يعيشوا في جو سمح غير متحرج ولامتزمت، وخل بينهم وبين الدنيا وما فيها مما يسر وما يسوء ، مما يحسن ومما يقبح ، مما يلذ ومما يؤلم . وثق بأنهم سيحسون ويشعرون ، وثق بانهم سيرضون ويسخطون ، وثق بأنهم سينعمون ويبتئسون، وثق بانهم سيتقبلون هذا كله بأنفسهم لا من طريق غيرهم، وثق بانهم ان استقبلوا الحياة ولذاتها وآلامها وخطوبها واحداثها، فسيصورون ما يستقبلون من ذلك وسيعبرون به وسيؤثرون فيه، وسيكون كل واحد منهم انساناً حراً عاملاً. وحينئذ وجد الانسان الحر العامل، وجد الذوق الفني ووجدت آثار الذوق الفني في الاستمتاع والامتاع جميعاً».

ذلك هو صوت الضمير الحديث بل ذلك هو هتاف الضمير الحديث .

بل تلك هي صرخة الضمير الحديث ، يرسلها الدكتور طه حسين عالية مدوية ورائعة مريعة ، والدكتور طه حسين بخلقه وادبه خير من يعبر عن هذا الضمير اليقظ الحي في مصر وخير من يمثله في البلاد العربية كلها .

فدري قلعجي

أقاصيص شتى

مجموعة قصص للدكتور صلاح الدين الناهي – ٨٠ صفحة – مطبعة الرشيد – بغداد

اذكر انني عندما تحدثت الى الاستاذ ميخائيل نعيمة ، في مطلع هذا العام ، عن أدب القصة في البلاد العربية — لمست عنده اعجاباً واضحاً بالقصة العراقية ، ورأيته كبير الامل بما قد يقدمه العراق للادب العربي في هذه الناحية ، ونشرت يومئذ شيئاً من هذا الحديث في صحيفة « كل شيء » البيروتية .

ولما اصدرت اسرة « الاديب » حكمها في « مباراة القصة » التي اقامتها في العام المنصرم ، كان ثمة إجماع لدى اللجنة المحكمة على منح الجائزة لصاحب قصة « فطومة » الذي تبين فيما بعد انه الاستاذ عبد الملك نوري ، وهو عراقي .

اخذت ، على اثر هذين الحادثين ، اتحرى صحف العراق الادبية ، وانقب عن « القصص » التي تنشرها ، فاذا بي اقع عند كتاب العراق وادبائه على ميل يكاد يكون فطرياً للقصة وكتابتها، ثم تتضح لي القضايا شيئاً فشيئاً من خلال احاديث جرت لي مع الاستاذ احمد الصافي الشاعر وغيره ممن هم على صلة وثيقة بالعراق

واهله، فلم يبق لدي ادنى شك في ان تربة العراق اخصب تربة عربية يمكن ان ينبت فيها القصص الحي الرائع ، ويعطي اثماراً يانعة .

هذه ظاهرة قيمة. لها دلالات متعددة لا دلالة واحدة : اولها ان المجتمع العراقي آخذ بأسباب التطور في اتجاه عصري صرف ، بمعنى ان آماله واماني ومطامحه تنطلق اليوم نحو بناء اجتماعي جديد ، محكم الاسس ، متحرر النزعة ، منظم الفكر ، يرتاد القوة والنظام. وثانيها ان الادب العربي تحلل من قيوده العتيقة وراح يتلمس الحياة في آفاق غير آفاق الغزل والتشبيب والفخر والحماسة والرثاء وتدبيج الرسائل ، وتحبير المقالات ، فما دام العراق الذي اعطى الادب العربي اثمن كنوزه في النظم والنثر قديماً — اعني الجاحظ والمتنبي ومن لف لفها — قد انبعث نحو التجديد الفكري ، فهذا يعني ان الاستاذ نعيمة شارف المستقبل ببصر جديد ، خرق به حجب الغيب حين ابدى من اغتباط وتفاؤل .. بمستقبل الادب العربي ، عن طريق العراق .

وليس هذا كل شيء .. لقد كانت نهضتنا الفكرية في العهد الاخير مضطربة مضعضعة ، لان مصر تولت قيادتها ، ثم لان مصر اضعف من ان تقود نهضة فكرية ، فهي ، في اطار تحجرها الروحي وانبساطها المادي تمكنت من جمع اسباب الثقافة . وبناء الجامعات ، وتخريج الشهادات ، وتأليف الكتب التاريخية والدراسات النقدية ، والابحاث العلمية ، ولكنها « عجزت » عن تشييد النفوس المتمردة ، وتوحيد العقول المبعثرة ، وضم الاشتات المتنافرة ، وبعث الارواح الخلاقة ، واذا بالجيل العربي الحديث الذي يتغذى اكثر ما يتغذى ، على صحف مصر وكتبها وينحو اكثر ما ينحو نحوها في السياسة والاجتماع — يصاب بالكوارث والفواجع وينتهي الى الانقسام والتخاذل ..

اقول : لو كان العراق هو الذي يتقدم القافلة العربية في مضار الفكر والثقافة ، لكانت حالة البلاد العربية خيراً مما هي عليه الآن . في الجانب الروحي على الاقل .

ولست بحاجة الى التدليل على ذلك .. وانما هي فكرة اصبحت اعتقد بها وأراها تزداد في نفسي اتضاحاً ورسوخاً كلما اطلعت على اثر ادبي جديد لعراقي جديد .

وآخر هذه الآثار مجموعة قصصية كتبها الدكتور صلاح الدين الناهي « في ازمنة شتى ، وامكنة شتى ، وظروف نفسية وعقلية شتى » وجلها تدور حول موضوعات اجتماعية تمس حياتنا العامة ، وتصور اوضاعنا القائمة ، وتصف ما يرسب في اغوار مجتمعاتنا الراهنة من تفسخ في الاخلاق ، وسخف في العقول ، واضطراب في تناول الحياة الحديثة والافادة من معطياتها .

لن اتحدث عن « الفن القصصي » في هذه المجموعة لانها لم تستكمل عناصره ، ولا استوفت اسبابه ، ولا بلغت منه حضيضاً ولا قمة ، فهي الى أدب المقالة أقرب ، غير ان اطلاق اسم « المقالة » عليها يسيء ايضاً الى مسماها . فهي شيء غير القصة ، وغير المقالة ، بل تقع في مركز متوسط بين النوعين ، ويختلف توسطها هذا باختلاف كل واحدة منها عن رفيقتها ، ففيها ما هو اقرب الى المقالة ، وفيها ما هو اقرب الى القصة .

تضم المجموعة اربع عشرة اقصوصة ، فيها خمس قصص ، والباقي مقالات قصصية . اما القصص الخمس فهي : يحمور الصحفي ، القصصي المجهول ، جناية النساخين ، قصة الحب ، البقملاوجية .

المهم ليس هنا . المهم هوانك اذ تأخذ في مطالعة هذه المجموعة تشعر ان الكاتب مثقف واسع الثقافة ، بيد انه لا ينظر لثقافته بشيء من الجد ، لان الحياة بجملتها لا تستهويه بما فيها من جد ، بل تحس انه ساخر ، ساخر ، ولا يجد الا في سخريته ، فكأن الدنيا لا تسترعي انتباهه الا حين تقدم له ما يضحك منه اويهكذا . تجد ابطال قصصه جميعهم من فئة المغرورين ، والحائرين ، والثقلاء والتائهين ، والمغرورات والحائرات الخ ..

والغريب في ذلك كله انه وهو يروي لك حادثة ، او يعرض سيرة شخص ، يقدم لك زاداً فكرياً ، هو محض تفكير ، فتأخذه دون ان تشعر بشيء من الضيق ، مهما كنت قليل الشاهية ، ضعيف المعدة ، لانه لا يهمه ان ترضى عنه ، وسواء لديه اسرك ما يقول ام سخطك ، فلا يلبث ان يستخف بك الطرب لجرأته مستخفاً بك .

تأمل حديثه عن صديق مصري دعاه الى حفلة اقامها بمناسبة عيد مولده السعيد قال : « الواقع ان علاقتي بالداعي الكريم لم تكن تزيد على التحية العارضة في الصباح او المساء حين كنا نلتقي في مدرج كلية الحقوق بالجيزة ، او في ممر ضيق في حديقة « الاورمان » . كنا نمر به ذهاباً الى الكلية ، او اياباً منها الى منازلنا في « الدقي » ومع ذلك فان هذه الدعوة كانت تناسب ظروف الداعي والمدعو : فالداعي زميل مصري يهمه توثيق روابط الصداقة مع « اخواننا الشرقيين » — كما كانوا يدعوننا — والعراقيين منهم على وجه الخصوص ، اذ تكتمل بهم تلك « الشلة » التي جمعها الاستاذ ب. س. حوله من اخواننا الشرقيين ، والمدعو عراقي تحيط به هالة من تاريخ بلاده لها دوي عميق لم يزل عالقاً بأذهان

« اخواننا المصريين »منه خيال لا حدود له ، ولا ريب ان أنموذجاً جديداً سيضم الى « الشلة » الشرقية في ليلة العيد السعيد ، ولا ريب ان هذا الانموذج الطريف يثير الفضول ، اذ ينبغي قبل كل شيء « التفرج »على لهجته العراقية ، وهل فيها شيء مما ترويه الاساطير عن ظرف بغداد ، او عن تمرد اهل العراق ، وميلهم المعهود الى شق عصا الطاعة . . ».

نقلت اليك هذه الفقرة من قصة لتحس بقدرة الدكتور الناهي على تصوير الاجواء النفسية ، وعرضها بما يواكبها من شعور شخصي ، هو من « الاستخفاف » قريب ، عن الجد بعيد ، فأنت الآن تعرف من وراء هذه الاسطر القليلة كيف ينظر المصري الى غيره من ابناء البلاد العربية ، وتدرك كيف يخلط المصري بين عربي ، وشرقي ، ومسلم دون ان يميز بين هذه المخلوقات الانسانية الثلاثة ، ثم تحس بهذا الجو من المجاملة الذي يصطنعه المصري كلما احتك بعربي او شرقي او مسلم ، وما تنطوي عليه هذه المجاملة من افانين الافكار الكامنة ، والخواطر الخفية . دون ان يقول الكاتب شيئاً منها .

وذاك هو شأنه في اكثر ما يعرض من حوادث ، ويصف من اجواء ، فانا اتصوره ، وهو يكتب انه يبتسم ابتسامة هازئة طفيفة رقيقة ، يعبر بها عما لا تؤديه الكلمات . اسمع حديثه مع رجل هندي في باريس

«قلت لصديقي محمد بهادر خان سناء الدين بهاء الملك الهندي :

— حدثني عن ادب الهند ، يا بهادر ، الست وعدتني بهذا الحديث .

— كيف ابدأ الحديث عن ادب الهند ، وهو كالهند عويص عميق ؟ وانت تريد ادباً كالحجر المنحوت فيه كل شيء الا الروح .

— من قال لك هذا يا بهادر ؟ ! تكلم كيف شئت : عن الحجر او عن الروح او عنهما معاً ، ومن الخير ان تتكلم عنهما معاً ، فاني اخشى ان تنكر ما سوى الروح . ولا تنس اني لا اريد ادباً على نحو :

أرعى رياض الورد من خده   وأسهر الليل أراعي النجوم

. . . اني لا اشتاق يا بهادر ان اكون دابة في رياض خده ، ولو انبتت من الاعشاب الواناً ومن الرياحين ما لا تنبته غابات الهند وادغالها . . ولا احب ان اكون متطفلاً على الافلاك ، وانا لا اعرف من النجوم غير « الدب الاكبر » ولطالما افلت مني « الدب الاصغر » ، ولم اهتد الى وجه الصواب في التسمية ، واني لاخشى ان يغضب سكان تلك الاجرام من هذه التسميات الحقيرة ، ام هل تظن انهم لا يأبهون لحماقات هذا الجرم المتمدن ؟! ».

ليس من عادتي ان استشهد عندما اعطي رأيي بكتاب ، ولكنني اشعر انني ازاء حالة غير عادية من تأثراتي الشخصية بأقاصيص الدكتور الناهي ، وهذا يستتبع ان اذكر للقارىء بعض الفقرات التي قد تبرر تأثري ، بما تبعثه في القارىء نفسه .

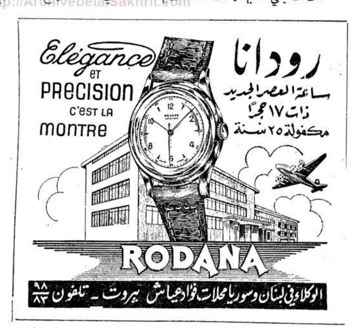
واذا كانت مهمة الفن ان يهز ويوحي وينير العقل والقلب والروح ، فلا ادري كيف نتمسك بعد ذلك بالمقاييس الفنية ، والقواعد العلمية ، في نقد قصاص او شاعر ؟؟

ثم اذا كانت القصة تقاس بما تزيد في ثروة القارىء من عواطف وافكار وخواطر ؛ لا بما هي عليه من جودة السبك ، واحكام العقدة ، والوصول الى الخاتمة ، وحسن انتقاء التفاصيل — اذا كان ثمة شيء مما اقول — فان الدكتور الناهي قد اساء الى ناقدية وقصصه حين قال عنها وعنهم في مقدمته : « عسى ان تلاقي منهم ما هي جديرة به من التقطيب والعبوس والازورار » !

امـا انا فقد فرحت بها ، وسررت لاجوائها ، وما قطبت في وجهها قط . عسى ان الاقي من يقطب في وجهي ووجهها معاً .

عبد اللطيف شرارة

(الاديب) كعادتها فيما تنشر تعبّر عن رأي الكاتب





٢٥ نيسان ١٩٤٩ – يستمر زحف الشيوعيين الكاسح في ميادين الصين .

٢٦ – ابدت روسيا استعدادها لرفع الحصار عن برلين .

– تتأزم الحالة بين سوريا والعراق وشرق الاردن .

٢٧ – اطلق سراح السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية السابق .

– بدأت المحادثات الاولية في لوزان لحل مشكلة اللاجئين .

٢٨ – وجه الاستاذ فارس الخوري نداء الى قادة العرب واقطابهم ومفكريهم يدعوهم فيه الى الاتحاد وجمع الكلمة لانقاذ البلاد .

– اتفق رؤساء وزارات رابطة الشعوب البريطانية المجتمعين في لندن على ان تبقى الهند ضمن اسرة الرابطة حتى بعد صيرورتها جمهورية مستقلة .

٢٩ – انسحبت القوات المصرية من بيت لحم والخليل .

٢ نوار – تستمر محادثات السيد ماليك المندوب السوفياتي والمستر جيسب المندوب الاميركي للجمعية العمومية لهيئة الامم بنجاح وينتظر ان يرفع الحصار عن برلين خلال ١٥ يوماً .

٢ – القوات الصينية تحيط بجونغشاو الميناء الصينية الكبيرة .

– افتتح بلندن مؤتمر وزراء الخارجية الغربيين لابرام دستور المجلس الاوربي .

– تقول المصادر المطلعة بلوزان ان اليهود ليسوا مستعدين لقبول جميع اللاجئين .

٣ – بدأت اللجنة الخاصة في الجمعية العمومية درس طلب اسرائيل بالانتساب الى هيئة الامم .

– قدمت الوزارة الاردنية استقالتها .

– سقطت مدينة هانغشاو الصينية بايدي الشيوعيين دون مقاومة .

– اعلن بول رينو في فلسيكران امكانية نشوب حرب عالمية ثالثة متوقفة على الاتحاد السوفياتي .

– اعلنت اسرائيل انها لم تعرف بعد قتلة برنادوت .

٥ – طلب الدكتور شارل مالك مجددا ارجاء درس عضوية اسرائيل والا فان لبنان سينسحب من مؤتمر لوزان .

٦ – احتفلت سوريا احتفالا رسمياً رائعاً بعيد جلوس الملك فاروق .

٧ – خرقت القوات الشيوعية الصينية خطوط الدفاع الحكومية بشنغهاي .

٩ – تحدث الدكتور فاضل الجمالي في مجلس النواب العراقي فنفى ان يكون بين العراق وشقيقتها مصر ما يستوجب تكدير صفو العلاقات بينهما .

١٠ – اصدر شاه ايران مرسوماً بحل البرلمان الايراني واجراء انتخابات عامة في ايران في تموز القادم .

١١ – رفع الحصار عن برلين .

١٢ – وقع الوفدان العربي واليهودي لدى لجنة التوفيق بروتوكولا خاصاً يعتبر نقطة البدء بالمفاوضات .

١٣ – فاز المشروع البريطاني الايطالي في اللجنة السياسية باكثرية الاصوات وهو يقضي بوضع برقة وطرابلس تحت الادارة البريطانية حتى عام ١٩٥١ ثم تنتقل الوصاية عليها الى ايطاليا حتى عام ١٩٥٩ بينما تكون فزان تحت الوصاية الفرنسية .

١٥ – انهارت خطوط شنغهاي الدفاعية امام هجمات الشيوعيين .

١٦ – تحرج الموقف في طرابلس فقام الاهالي بالمظاهرات واصطدموا بالبوليس احتجاجاً على قبول اللجنة السياسية لهيئة الامم فرض الوصاية الايطالية عليها .

– وافقت اللجنة السياسية لهيئة الامم على اطلاق حرية العلاقات الدبلوماسية مع المانيا .

١٧ – قرر الاتحاد السوفياتي والدول العربية تقديم اقتراح مشترك بشأن المستعمرات الايطالية السابقة للحؤول دون موافقة الجمعية العمومية على مشروع بيفن – سفورزا .

١٨ – سقط مشروع بيفن – سفورزا بشأن المستعمرات الايطالية السابقة في الجمعية العامة لهيئة الامم .

١٩ – انتهت اعمال الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة وتأجلت قضية ليبيا لدورة ايلول .

– اقفلت سوريا الحدود اللبنانية ولم تسمح بمرور الصادرات السورية الى لبنان نتيجة لعدم تسليم لبنان الضابط والجنود السوريين الذين قتلوا الجاسوس كامل الحسين في الاراضي اللبنانية .

٢٠ – مصر والمملكة العربية السعودية تتوسطان لحل الخلاف اللبناني السوري .

– اعلنت قبائل كارين الثائرة قيام دولة كارينية في اواسط بورما تتمتع بحكم ذاتي .

٢٣ – عقد في باريس اجتماع وزراء خارجية الدول الاربع الكبرى .

– انتحر المستر جايمس فورستال وزير الدفاع الاميركي السابق .

٢٤ – تقرر عقد اجتماع مشترك بين سوريا ولبنان لبحث قضية تسليم الضابط .

– درس وزراء الخارجية الاربعة المجتمعين في باريس قضية توحيد المانيا سياسياً واقتصادياً وقد رفض اقتراح روسي باعادة مجلس رقابة على المانيا .

٢٥ – سقطت شنغهاي في ايدي الشيوعية دون مقاومة .

– طلبت اسرائيل من لبنان ومصر في لوزان ضم منطقتي الجليل وغزة اليها .

٢٦ – ارسلت الحكومة العراقية مذكرة الى دول الجامعة العربية مطالبة بتعديل دستور الجامعة .

– اعتذر المستر بانش عن قبول منصب المساعد لوزير خارجية اميركا .

٢٧ – وافق لبنان وسوريا على تحكيم مصر والمملكة العربية السعودية في قضية الضابط المتنازع عليها .

– تندفع القوات الصينية الشيوعية نحو كانتون

– اجل مجلس الشيوخ الاميركي بحث توقيع ميثاق الاطلسي ستة اسابيع .

٢٨ – قدم وزراء خارجية الدول الغربية مشروعاً بتوحيد المانيا سياسياً واقتصادياً .

– يزداد التوتر بين الباكستان والهند بشأن كشمير وينتظر ان ترفض الباكستان اقتراحات اللجنة الدولية لفض الخلاف .

مطابع صادر وريحاني – تلفون ٦٢ – ٦٨